الأربعون

في فضل الذكر

تأليف

خالد بن سعود البليهد

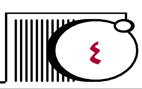
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فهذه أربعون حديثًا مما ورد في باب الذِّكر، في فضل الذِّكر، وأنواعه، وهيئته، وسننه، وعظيم جزائه في الآخرة، وتكفيره للسيِّئات، وقد شرحت معناها على سبيل الاختصار.

وقد أفردت هذا الباب لتذكير نفسي وإخواني بعظم فضله، وكثرة ثوابه وفوائده، وشدَّة الحاجة إليه، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لي يوم القيامة، وأن يميتني على الإسلام،

ويغفر لوالدي، ومشايخي، وأهلي، وسائر المسلمين؛ إنَّه جواد كريم.

 **كتبه في الرياض**

ابن بليهد الخالدي النجدي

١٤٣٨/٣/١٢

الحديث الأول

عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**سَبَقَ المُفَرِّدُونَ**». قالوا: وَمَا المُفَرِّدُونَ يَا رسولَ الله؟ قَالَ: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كثيرًا والذَّاكِرَاتِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

هذا الحديث أصل في فضل الإكثار من ذكر الله، وقد دلَّ على أنَّ المكثرين والمكثرات للذِّكر في الدنيا، الذين يدمنون الذِّكر ويولعون به يسبقون غيرهم من المقلِّين للذِّكر في الثَّواب والمنزلة العالية في الآخرة، وسمُّوا «مفرِّدين»؛ لأنَّهم انفردوا عن النَّاس وانقطعوا للعبادة.

والإكثار في الذِّكر يكون سائر الأحوال: في اليسر والعسر، والصِّحة والمرض، والغنى والفقر، والأمن والخوف، والحضر والسَّفر، والسِّر والعلانية، وسائر

الأوقات في الليل والنَّهار، وقد أمر الله بكثرة الذِّكر فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: الآية ٤١]. **قال مجاهد:** «لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرًا حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا».

والمكثرون يتفاوتون في السَّبق على حسب عملهم، **قال أبو بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ذهب الذّاكرون اللّه بالخير كلّه». وفيه دليل على أنَّ المقلَّ للذِّكر؛ لاشتغاله بزخرف الدُّنيا، وافتتانه بالملذَّات والغفلة واتِّباع الشَّهوات متأخِّرٌ يوم القيامة، فيا له من غبن!

وقلة الذكر من صفات المنافقين كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النِّساء: الآية ١٤٢].

قال شميط بن عجلان: «كان يقال: علامة المنافق قلة ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ».

والذِّكر له معنى خاص: وهو اشتغال اللسان بالثَّناء على الله، وتعظيمه، وتنزيهه، واستغفاره، ونحوها من

الألفاظ التي ورد فضلها في الشَّرع، وهذا هو المراد في إطلاق الفقهاء.

وله معنى عام: وهو الاشتغال بكل ما يقرِّب إلى الله، مما شرعه الله ورسوله من تلاوة، ودعاء، وتنفُّل بالصَّلاة، ومدارسة علم ونحوه، **قال ابن تيمية:** «كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرِّب إلى الله من تعلّم علم، وتعليمه، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر فهو من ذكر الله».

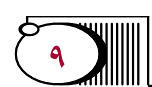
الحديث الثاني

عَنْ حَنْظَلَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حنْظَلَةُ؟ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ. قَالَ: سُبْحَانَ الله، مَا تَقُولُ؟! قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ يُذَكِّرُنَا بالجَنَّةِ وَالنَّارِ كأنَّا رَأيَ عَيْنٍ، فإذَا خَرَجْنَا مِنْ

عِنْدِ رَسُول الله ﷺ عَافَسْنَا الأَزْواجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَوَالله إنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فانْطَلَقْتُ أَنَا وأبُو بَكْر حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُول الله ﷺ فقُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُول اللهِ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قُلْتُ: يَا رَسُول اللهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ والجَنَّةِ كأَنَّا رَأيَ العَيْن، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْواجَ، وَالأَوْلاَدَ، وَالضَّيْعَاتِ، نَسينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ، لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونونَ عِنْدِي، وَفي الذِّكْر، لصَافَحَتْكُمُ الملائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفي طُرُقِكُمْ، لَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وسَاعَةً**» ثَلاَثَ مَرَات. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

دلَّ الحديث على أنَّ مجالس الذِّكر ترقِّق القلب، وتصلح الرُّوح، وتجعل المؤمن يعيش في حالة من الصَّفاء والأنس بالله، واستحضار مشاهد الآخرة، كما أنَّ مجالس الدنيا تقسِّي القلب، وتستوحش بها

الرُّوح، وتصيب قلب المؤمن بالغفلة عن الله.

وفيه دليل على الرُّخصة في الغفلة العارضة التي ينشغل بها المؤمن بمعاشه وأهله، وأنَّ هذا طبع بشري، وأمر جبلِّي لا ينفكُّ عنه أحد، والدِّين يسر، ولا يشرع لأحد أن ينقطع للذِّكر ويهمل معاشه وغريزته، وهو طريق أحدثه المتصوفة خلافًا لهدي النَّبيِّ .

أمَّا الغفلة الدَّائمة التي تمرض القلب بالذنوب، وتصدُّه عن الذِّكر؛ فقد ورد فيها الذمُّ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٥]. وفيه دليل على أنَّ نقص الإيمان عند الاشتغال بالدُّنيا ليس من النِّفاق؛ لأنه لا يناقض الإيمان ولا يبطله من أصله، وكذلك الغفلة ليست من النفاق.

وإنما النفاق: هو إبطان الكفر وإظهار الإسلام، ولكنَّ المؤمن إذا انقطع عن الذِّكر، وهجر القرآن، ورضي بالغفلة، واتبع الشَّياطين ربما أفضى به ذلك

إلى الاستهانة بشعائر الله، والوقوع في سوء الخاتمة، ومن لازم الذِّكرَ برئ من ذلك، **قال كعب بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من أكثر ذكر الله برئ من النفاق».

وفيه دليل على أن قلوب الصَّحابة  كانت حيَّةً، تنكر ما يرِد عليها من الموهنات، وكذلك القلب الحي المشعّ بالإيمان يحزن لما يرد عليه من المرض والغفلة، ويفرح بالطَّاعة، والقلب الميت يفرح بالمعصية، ويغتم بالطَّاعة، ويستروح بالغفلة، ولا يشعر بالمرض.

وفيه دليل على الرخصة بترويح النَّفس بالحاجات واللهو المباح؛ لتستجم الروح؛ ويستجمع القلب؛ وتقبل النَّفس على الطاعة؛ فإنَّ للنَّفس إقبالًا وإدبارًا، ومن فقه النَّفس إشغالها بالنوافل عند إقبالها، وإلزامها بالفرائض عند إدبارها. وليس فيه دليل على إشغال النَّفس باللهو المحرَّم، خلافًا لما يدَّعيه السُّفهاء.

الحديث الثالث

عَنْ أَبِي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: إمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأ في عِبَادَةِ الله** عَزَّ وَجَلَّ، **وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحابّا في اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيهِ وتَفَرَّقَا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأةٌ ذَاتُ حُسْنٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

هذا الحديث يدلُّ على أنَّ هذه الأصناف السَّبعة يظلهم الله عند شدِّة الشمس وكثرة الحرِّ والعرق في يوم القيامة بظلِّ عرشه، وهذا الفضل عامٌّ في الرَّجل والمرأة، إلا الولاية والتعلُّق بالمساجد فهي خاصَّة بالرَّجل.

وفيه دليل على فضل ذكر الله سرًّا على انفراد، بحيث لا يطَّلع عليه أحد من الخلق، ولا يكون القلب مشغولًا بغير الله؛ فيذكر المؤمن ربه، ويناجيه، ويثني عليه ويمجِّده، ويستحضر رحمته وثوابه، وغضبه وعذابه؛ فيتأثَّر قلبه، ويبكي شوقًا إلى الله، أو خوفًا من ذنوبه؛ وهذا يدلُّ على كمال الإيمان.

قال القرطبي: «وفيض العين بحسب حال الذَّاكر، وبحسب ما يكشف له، ففي حال أوصاف الجلال يكون البكاء من خشية الله، وفي حال أوصاف الجمال يكون البكاء من الشَّوق إلى الله».

والبكاء المحمود شرعًا ما كان بدمع العين، أما الصِّياح والعويل فليس محمودًا في الشرع. مرَّ الإمام الشَّافعي برجل يبكي في المسجد؛ **فقال:** «ما أطيب هذه الدموع، ولو كانت وحدك لكانت أطيب».

والصعق عند تلاوة القرآن شيء أحدثه المتصوفة،

خلافًا لهدي النبي ﷺ وأصحابه، **قال قتادة في قوله تعالى:** ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: الآية ٢٣]: «هذا نعت أولياء الله، نعتهم الله بأن تقشعر جلودهم، وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم لذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب قلوبهم والغشيان عليهم، إنما هذا في أهل البدع، وهذا من الشيطان».

فأولياء الله يلزمون الأدب والخشوع عند التلاوة والذكر؛ اقتداء بالصحابة رضي الله عنهم، ولا يقفزون ويصرخون ويتراقصون كما يفعل ضلال الصوفية! الذين أساءوا للدين، وشوهوا جماله، وأدخلوا فيه طرق الشيطان.

وفيه دليل على أنَّ الذِّكر وسائر العبادات في السِّر أفضل من إعلانها، والجهر بها لتحقُّق الإخلاص وخلوها من الرِّياء والسُّمعة، إلا ما ورد الشَّرع بالجهر بها لمصلحة راجحة.

الحديث الرابع

عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رَسُول الله ﷺ أَخذَ بيدِهِ، وَقالَ: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إنِّي لأُحِبُّكَ، ثُمَّ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ: اللهُمَّ أعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والنَّسَائِيُّ.

دلَّ الحديث على فضل هذا الدُّعاء دبر الصَّلاة، والأقرب أن محلَّه قبل السَّلام، وما ورد في السُّنة أنَّه يقال في دبر الصَّلاة: فإن كان دعاءً فمحلُّه قبل السَّلام، وإن كان ذكرًا فمحلُّه بعد السَّلام.

وفي هذا الحديث تنبيه على أصل عظيم في تيسير المؤمن للذِّكر والشُّكر وحسن العبادة ألا وهو طلب العون من الله، فالاستعانة بالله على القيام بحقِّه والسَّير إليه مقام عظيم، إذا وفِّق له العبد هدي قلبه

لفعل الخير واجتناب الشَّر، وأعين على تحقيق مطلبه، وزالت عنه العوائق، أمَّا إذا غفل عن هذا الأصل واستعان بحوله وقوته خذِل، ووقع في الحرمان، والموفَّق من وفَّقه الله، والمحروم من حرمه الله، **قال ابن تيمية:** «تأمَّلت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥]».

وفي الحديث دليل على أنَّ المحبوب لله حسن العبادة، وليس كثرتها؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ﴾ [المُلك: الآية ٢]. **قال الفضيل بن عياض:** «العمل لا يُقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، الخالص إذا كان لله، والصَّواب إذا كان على السُّنة».

فليست العبرة بكثرة العمل، وإنما العبرة بالعمل الموافق للشرع في الظاهر والباطن، ولهذا ثبت في

«صحيح مسلم»: «**أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ**». وذمَّ الشرع كثرة عبادة الخوارج، فعمل يسير مع إتقان خير من عمل كثير بلا إتقان، وحسنُ العبادة يكون في إخلاصها، وموافقتها للسُّنة، والمداومة عليها.

وفيه مشروعية إخبار من تحبُّ من المؤمنين بمحبتك له في الله، فيستحب للمؤمن إذا أحب إنسانًا أن يخبره بمحبته في الله؛ لما ثبت في «جامع الترمذي»: «**إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه**».

وفيه الحرص على دلالة المؤمنين إلى أبواب الخير.



الحديث الخامس

عَنْ أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**». رَوَاهُ البُخَارِيُّ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فَقَالَ: «**مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالبَيْتِ الَّذِي لا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ**».

هذا الحديث من فضائل الذِّكر، وقد دلَّ على فضل ذكر الله ببيان الفرق العظيم بين الذَّاكر والغافل، فقد شبَّه النَّبيُّ ﷺ الذَّاكر بالحيِّ، والغافل بالميِّت، وذلك لأنَّ ذكر الله يحيي القلب، ويشرح الخاطر، ويصلح النفس، ويهذِّب الأخلاق، ويورث القلب السَّكينة والخشوع والطُّمأنينة، ويطرد الشَّيطان ويبطل مكايده، ويقوِّي صلة المؤمن بربه، ويرزقه البصيرة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا

﴿بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: الآية ٢٨].

والذكر نعيم المؤمن في الدنيا، **قال مالك بن دينار:** «ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالى». والغفلة عن ذكر الله تميت القلب، وتجعله ضيِّقًا، وتجعل النَّفس خبيثةً، وتسلِّط الشَّيطان على الغافل، وتورث الكبر، وتزيِّن الشَّهوات، وتفضي لكل شرٍّ وفتنة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: الآية ٢٨]. **قال ابن القيم:** «على قدر غفلة العبد عن الذكر يكون بعده عن الله».

والذكر يطهر القلب من الصدأ، **قال أبو الدَّرداء** رضي الله عنه: «لكلِّ شيء جلاءٌ، وإنّ جلاء القلوب ذكر اللّه عز وجل».

قال ابن القيم: «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: الذِّكر للقلب مثل الماء للسَّمك، فكيف يكون السَّمك إذا فارق الماء؟».

وقد ورد في رواية مسلم دليل على أنَّ ذكر الله إذا

حلَّ في بيت أو موضع طاب وحلَّت فيه البركة، وطردت منه الشَّياطين، ودخلته الملائكة، وسعد أهله، وإذا هجر الذِّكر في بيت أو موضع نزعت منه البركة، وحلَّت فيه الشَّياطين، وهجرته الملائكة، وكان الشُّؤم في أهله؛ ولذلك ورد أنَّ المساجد أحبُّ البقاع إلى الله، والأسواق أبغض البقاع إلى الله.

الحديث السادس

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يقول الله تَعَالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكرنِي في ملأٍ ذَكرتُهُ في مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

دلَّ الحديث القدسي على إثبات معيَّة الله لمن ذكر الله محسنًا ظنه بالله، وهذه المعيَّة هي معيَّة الهداية

والتوفيق والنُّصرة، وهي خاصة بالمؤمنين.

ودلَّ أيضًا على أن من ذكر الله خاليًا في نفسه ذكره الله في نفسه، ومن ذكر الله في جماعة من الناس ذكره الله في جماعة من الملائكة المقربين خير من جماعته، وهذا يدلُّ على شرف مجالس الذِّكر، وكل ما يوصل لطاعة الله ورسوله فهو من مجالس الذِّكر، فتلاوة القرآن وتفسيره، وقراءة الحديث وشرحه، وبيان أحكام الحلال والحرام، والمواعظ والسِّير داخلة في مجالس الذِّكر. **قال عطاء بن أبي رباح:** «مجالس الذِّكر هي مجالس الحلال والحرام، أي: مجالس العلم». **وقال ابن تيمية:** «ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض، أو جلس مجلسًا يتفقه، أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقهًا فهذا أيضًا من أفضل ذكر الله».

وهذا الحديث مما يعين على الذِّكر؛ لأنَّ المؤمن

إذا استحضر أنَّ الله يذكر عبده إذا ذكره كان حافزًا ومعينًا على كثرة الذِّكر، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥٢].

وفيه دليل على عظم كرم الله وجوده وعطائه على عبده الذاكر، حيث جازاه وكافأه بأعظم من عمله.

وفيه دليل على إثبات النَّفْس لله على ما يليق به، من غير تشبيه، ولا تعطيل، وقد وردت في القرآن والسُّنة، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٢٨]، وقال تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المَائدة: الآية ١١٦]. والحقُّ أنَّها ليست صفة متعلقة بالذَّات كسائر الصفات، وليست ذاتًا مجردةً عن الصفات، وإنَّما المراد بنفس الله ذاته المقدسة، المتصفة بصفاته، **قال ابن تيمية:** «ونفسه هي ذاته المقدسة».



الحديث السابع

عَنْ أُمِ المُؤمُنِينَ جُويْرِيَةَ بنت الحارِث رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِيْنَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ في مَسْجِدِها، ثُمَّ رَجَعَ بَعدَ أنْ أضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فقالَ: «**مَا زِلْتِ عَلَى الحالِ الَّتي فَارقْتُكِ عَلَيْهَا؟**». قالت: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

دلَّ الحديث على فضل كثرة التَّسبيح، ودلَّ أيضًا على استحباب هذا الذِّكر الجامع، ومعناه: أسبِّح الله تسبيحًا بقدر عدد الخلائق، وقدر رضا الله، وقدر ما يزن عرشه العظيم، وقدر عدد كلمات الله، فهذا الذِّكر على اختصاره وقلَّته أفضل من كثرة الذِّكر

المجرد؛ لأنَّه ذكر مضاعف؛ ولذلك أخبر النَّبِيُّ ﷺ جويرية بأنَّ هذه الكلمات الأربع ترجح وتزيد بالأجر والثَّواب على جميع أذكارك وتسبيحاتك في جميع هذه السَّاعات.

وفيه دليل على أنَّ الذِّكر المضاعف أفضل من الذِّكر المفرد؛ لما يقوم في قلب الذَّاكر من المعاني، **قال ابن القيم:** «وهذا يسمى الذكر المضاعف، وهو أعظم ثناءً من الذكر المفرد؛ فلهذا كان أفضل منه، وهذا إنما يظهر في معرفة هذا الذكر وفهمه، فإن قول المسبِّح: «سبحان الله وبحمده عدد خلقه» يتضمن إنشاءً وإخبارًا عما يستحقه الرب من التسبيح عدد كل مخلوق كان، أو هو كائن إلى ما لا نهاية له. فتضمن الإخبار عن تنزيهه الرب، وتعظيمه، والثناء عليه هذا العدد العظيم، الذي لا يبلغه العادون، ولا يحصيه المحصون، وتضمن إنشاء العبد لتسبيحٍ هذا شأنُه، لا

أن ما أتى به العبد من التسبيح هذا قدره وعدده، بل أخبر أن ما يستحقه الرب  من التسبيح هو تسبيح يبلغ هذا العدد، الذي لو كان في العدد ما يزيد لذكره».

وفيه دليل على أنَّ اتباع الألفاظ النَّبوية الجامعة في الذِّكر والدُّعاء، والحرص عليها أفضل من ألفاظ النَّاس؛ لأنَّ اللفظ الجامع مع اختصار لفظه يحوي معاني كثيرةً، وصورًا متنوعة.

ولم يرد في الشَّرع فضل الذِّكر بالاسم المفرد كـ«الله»، ولم يؤثر عن السَّلف، وإنَّما أحدثه المتصوِّفة، **قال ابن تيمية:** «فأمَّا الاسم المفرد - مظهرًا مثل «الله، الله»، أو مضمرًا مثل «هو، هو» - فهذا ليس بمشروع في كتاب، ولا سنَّة، ولا هو مأثور أيضًا عن أحد من سلف الأمَّة، ولا عن أعيان الأمَّة المقتدى بهم، وإنما لهج به قوم من ضلاَّل المتأخرين».

الحديث الثامن

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ؛ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إلاَّ رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

دلَّ الحديث على استحباب هذا الذِّكر في اليوم مائة مرة، سواء أتى به مفرَّقًا، أو متَّصلًا، أوَّل النهار وآخره، لكن الأفضل أن يأتي به أوَّل النَّهار؛ ليدرك الفضيلة، فهذا الذِّكر مقيَّد في اليوم، من حين طلوع الفجر إلى غروب الشَّمس.

وفيه دليل على أنَّ من أتى بهذا الذِّكر كتب له أجر عتق عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيِّئة، وكانت حافظة له من كيد الشَّيطان في يومه، ولم يأت أحد بثواب أفضل منه، إلا لمن أتى بعمل أكثر منه. وهذا يدلُّ على عظم فضل هذا الذِّكر؛ لما اشتمل عليه من الثَّناء، والتَّمجيد، والتَّوحيد، والاعتراف بتفرُّد الله في الملك، والخلق، والتَّدبير.

وورد في «الصَّحيحين» أيضًا فضل التَّهليل عشرًا، كما في حديث أبي أيوب الأنصاري، عن النبي  قال: «**من قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير عشر مرار، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل**».

وهذا ذكر مطلق، وأمَّا تقييده بالصُّبح والمساء فقد ورد في عدة أحاديث خارج «الصحيحين» وفي أسانيدها اضطراب، وفي متونها نكارة؛ لمخالفتها للمحفوظ من

قول النَّبِيِّ ﷺ وفعله؛ ولهذا أعرض عنها الشيخان، وقد أعله الحافظ ابن رجب الحنبلي، ومن أهل العلم من يستحبها بعد صلاة الصُّبح وصلاة المغرب.

الحديث التاسع

عَنْ يُسَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَيْكُنَّ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّقْدِيسِ، وَاعْقِدْنَ بِالْأَنَامِلِ، فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ، وَلَا تَغْفُلْنَ فَتَنْسَيْنَ الرَّحْمَةَ**».
رَوَاهُ أبو داودَ وَالتِّرْمِذِيُّ.

دلَّ الحديث على استحباب التَّسبيح والتَّحميد والتَّهليل والتَّكبير بأصابع اليد؛ لأنَّهن يشهدن بذلك يوم القيامة، فالسُّنة التَّسبيح باليد، والأفضل باليد اليمنى؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يعجبه التَّيمن في تنعُّله، وترجُّله، وطهوره، وفي شأنه كله، وإن استعمل كلتا

اليدين فلا حرج، وقد كان النَّبِيُّ ﷺ يسبح بيده.

أما التَّسبيح بالسُّبحة فجائزٌ، وقد رأى النَّبِيُّ ﷺ أم المؤمنين صفية رضي الله عنها تسبِّح بالحصى وأقرَّها على ذلك، وروي عن عدد من الصَّحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يسبِّحون بالحصى والنَّوى، فمن كانت نيته حسنة فلا حرج عليه في ذلك في قول عامَّة أهل العلم، ومن اتَّخذها رياءً فيحرم عليه لسوء قصده. وإظهارها من شعار الصُّوفية المخالفين للسُّنة.

ومن زعم أنَّها بدعة فقد أخطأ ولم يوفَّق للصواب، **قال إسحاق الكوسج:** «قلت - يعني للإمام أحمد -: يسبِّح الرَّجل بالنَّوى؟ قال: قد فعل ذلك أبو هريرة وسعد رضي الله عنهما، وما بأس بذلك النبي ﷺ قد عد. قال إسحاق بن راهويه: كما قال». **ومراد الإمام أحمد:** أنَّ استعمال النَّوى في التَّسبيح وسيلة للعدِّ، والعدُّ مشروع؛ فوسيلته مشروعة.

وقال ابن تيمية: «وأما التَّسبيح بما يجعل في نظام الخرز ونحوه فمن النَّاس من كرهه، ومنهم مَن لم يكرهه، وإذا أحسنت فيه النِّية فهو حسن غير مكروه، وأمَّا اتِّخاذه من غير حاجة، أو إظهاره للنَّاس مثل تعليقه في العنق، أو جعله كالسِّوار في اليدّ أو نحو ذلك فهذا إمَّا رياء للنَّاس، أو مظنَّة المراءاة، ومشابهة المرائين من غير حَاجة، والأوَّل محرَّم، والثَّاني أقل أحواله الكراهة».

وفيه دليل على أنَّ الله يسأل جميع الأعضاء يوم القيامة؛ فينطقن ويشهدن على صاحبها بما عملته في الدُّنيا، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النُّور: الآية ٢٤]. وهذا يوجب للمؤمن الخوف والحذر من الوقوع في الآثام والتَّفريط.

وفيه ذم الوقوع في الغفلة بترك الذِّكر؛ لئَّلا يكون ذلك سببًا في حرمان الرَّحمة والثَّواب، وقد نهى الله

جل جلاله المؤمنين عن الانشغال بالأموال والأولاد عن ذكر الله فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾ [المنَافِقون: الآية ٩].

الحديث العاشر

عَنْ عَبدِ الله بنِ بُسرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رجلًا قَالَ: يَا رسولَ الله، إنَّ شَرَائِعَ الإسْلام قَدْ كَثُرَتْ عَليَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ قَالَ: «**لا يَزالُ لِسَانُكَ رَطبًا مِنْ ذِكْرِ الله**». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

دلَّ الحديث على فضل الذِّكر، وأنَّ المداومة عليه تبلِّغ المؤمن منزلة عظيمة في الثَّواب والدَّرجة في الآخرة، ويكون سببًا في نجاته يوم القيامة، وإن قلَّ تطوُّعه بالنَّوافل، **قال أبو الدَّرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الذين لا

تزال ألسنتهم رطبةً من ذكر الله يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك»؛ فينبغي لمن لم يفتح عليه بالنُّسك الإكثار من الذِّكر؛ ليلحق بأهل المراتب العالية.

وكثرة الذكر سبب عظيم في تكفير الخطايا وحط الذنوب، **قال ابن القيم:** «إن العبد ليأتي يوم القيامة بسيئات أمثال الجبال؛ فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله تعالى».

وفيه دليل على أنَّ الفضل عام في كل ذكر لله؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يعيِّن ذكرًا خاصًّا، فيدخل فيه كل لفظ أحبَّه الله ورغب فيه، ورتَّب عليه ثوابًا.

وفيه دليل على أنَّ ذكر اللسان المصحوب باستحضار القلب الذي يترتب عليه عظيم الثَّواب أفضل من الاقتصار على ذكر القلب وحده؛ ولذلك شرعت كثير من الأذكار القولية داخل العبادة وخارجها، وكان النبي ﷺ يواظب على قول الأذكار المطلقة والمقيدة، ولا تجزئ قراءة

القرآن، ولا يثبت فيها الثواب إلا بتحريك اللسان والشفتين، أما القراءة بالقلب فليست قراءةً، إنما هي مجرد استحضار وتدبر، وأما الذكر بالقلب وإن كان عبادة، وله فضل من حيث العموم لكنه لا ينصرف إليه الذكر المطلق في لسان الشارع، ولا يترتَّب عليه فضائل الذكر الواردة في النُّصوص. **قال ابن تيمية:** «فإن الناس في الذكر أربع طبقات:

إحداها: الذكر بالقلب واللسان، وهو المأمور به.

الثاني: الذكر بالقلب فقط، فإن كان مع عجز اللسان فحسن، وإن كان مع قدرته فترك للأفضل.

الثالث: الذكر باللسان فقط، وهو كون لسانه رطبًا بذكر الله، وفيه حكاية التي لم تجد الملائكة فيه خيرًا إلا حركة لسانه بذكر الله، ويقول الله تعالى: «**أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه**».

الرابع: عدم الأمرين، وهو حال الخاسرين».

وحقيقة الذكر القلبي هو التذكر والتفكر في العبادات القلبية الواردة في الأدلة الشرعية، والتفكر في الآيات الكونية؛ بحيث يستحضر المؤمن بقلبه عظمة الله، وعلمه، وقدرته، ومحبته، وخشيته، ورجاءه، وجلاله، وجبروته، وجماله، والحياء منه، وغضبه، وعذابه، ورحمته، ولطفه، ويتفكر في أسمائه، وصفاته، وأفعاله، ويتفكر في آياته، وبديع صنعه، وحسن تدبيره للكون، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٩١].

قال عبد الله بن عون: «الفكرة تذهب الغفلة، وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات، وما جليت القلوب بمثل الأحزان، ولا استنارت بمثل الفكرة».

والسُّنة أن يذكر الله بصوت منخفض، بحيث يسمع

نفسه، ولا يجهر به في حضرة الناس؛ حتى لا يشوِّش عليهم ويؤذيهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وإن خلا بنفسه فلا حرج عليه في رفع صوته، ويفعل ما هو أصلح لقلبه، وأقرب للخشوع.

ودلَّ الحديث على أنَّ الأجر يثبت على ذكر اللسان، وإن كان خاليًا من حضور القلب وتعقُّل المعنى، وهذه مرتبة دُنيا في الذِّكر، والمرتبة العليا أن يكون القلب حاضرًا مع ذكر اللسان، **قال ابن القيِّم:** «وأفضل الذِّكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبويَّة، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده».



الحديث الحادي عشر

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ يقولُ: «**أفْضَلُ الذِّكْرِ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ**». رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

دلَّ الحديث على أنَّ كلمة التوحيد أفضل ما يقوله العبد في مقام الذِّكر، وذلك لعظم هذه الكلمة، وما اشتملت عليه من المعاني الشَّريفة، وهي أصل الإسلام، وبها يسلم الكافر، ويتميَّز الحق من الباطل، وعليها قامت السماوات والأرض، ومن أجلها أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل، وشرع القتال، ومن قالها مخلصًا دخل الجنَّة، ومن كانت آخر كلامه في الدُّنيا دخل الجنة، ومن قال هذه الكلمة ابتغاء وجه الله حرَّمه الله عن النَّار، وهي أمان من وحشة القبر، وهول الحشر، وتوجب المغفرة، وتمح السيِّئات، ولها كثير من الفضائل

والفوائد، **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: «أحبُّ كلمة إلى الله: لا إله إلاَّ الله، لا يقبل الله عملًا إلا بها».

ومعناها الذي دلَّ عليه الكتاب والسُّنة لا معبودَ بحقٍّ إلَّا الله، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج: الآية ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: الآية ٢٥].

وقد اشتملت على ركنين مهمين لا تصحُّ إلَّا بهما:

الأول: نفي الإلهيَّة عما سوى الله من الأنداد والطواغيت والأوثان.

والثَّاني: إثبات الإلهيَّة لله وحده لا شريك له، بحيث لا يستحقُّ التقرُّب والتألُّه والعبادة بكل أنواعها إلاَّ الله.

وقد ضلَّ خلق كثير من المنتسبين للإسلام في فهم كلمة التوحيد، واشتهر عند المتكلمين تفسيرها بتوحيد الربوبية، وهذا معنى باطل، مخالف لنصوص القرآن والسنة، **قال ابن تيمية:** «وقد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام، ومن أهل الإرادة والعبادة؛ حتى قلبوا حقيقته».

ومن صرف العبادة لغير الله انتقضت عنده لا إله إلاَّ الله، ولم تنفعه يوم القيامة، ومات على غير ملَّة الإسلام. وهذا الذِّكر مطلق، لم يقيِّده الشارع بعدد، ولا زمان، ولا مكان، فيستحبُّ الإكثار منه.

وهذا التَّفضيل في الذِّكر الخاص المتعلِّق بكلام الآدمي، أمَّا على سبيل العموم فإنَّ تلاوة القرآن أفضل من الذِّكر، والذِّكر أفضل من الدُّعاء، **قال سفيان الثَّوري:** «سمعنا أنَّ قراءة القرآن أفضل الذِّكر إذا عمل به». لكن قد يكون المفضول أفضل من الفاضل؛ لخصوص

مشروعيَّته في هذا الموطن، فالذِّكر بعد الصَّلاة، ومتابعة الأذان، والأذكار المقيَّدة بوقت أو سبب أفضل من تلاوة القرآن، والتَّشهد الأخير والاستغفار في السَّحر أفضل من الذِّكر، وقد يترجح المفضول في حقِّ بعض النَّاس، إمَّا لعجزه عن الفاضل، أو لكون المفضول أصلح لقلبه، وأدعى للخشوع والإقبال على الله، والأمر في ذلك واسع، وكلًّا وعد الله الحسنى.

وقد اختلف السَّلف في التَّفضيل بين التَّهليل والتَّحميد،

قال ابن رجب: «وقد اختلف أيُّ الكلمتين أفضل؟ أكلمة الحمد أم كلمة التَّهليل؟ وقد حكى هذا الاختلاف ابن عبد البر وغيره، **وقال النَّخعي:** كانوا يرون أنَّ الحمد أكثر الكلام تضعيفًا، **وقال الثَّوري:** ليس يضاعف من الكلام مثل الحمد لله. والحمد يتضمن إثبات جميع أنواع الكمال لله، فيدخل فيه التوحيد».

الحديث الثاني عشر

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه عنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**من قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ في الجَنَّةِ**». رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

دلَّ الحديث على فضل التَّسبيحة المقرونة بالتَّعظيم والحمد، وأنَّ جزاءها نخلة تغرس للمؤمن في الجنَّة، وغراس الجنَّة يحصل بذكر الله في الدُّنيا، وقد ورد في «جامع التِّرمذي» عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أنَّ الجنَّة طيِّبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأنَّ غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**».

وكلما زاد المؤمن من التَّسبيح زاد غرسه في الجنَّة، وهذا يدلُّ على عظم جزاء الذِّكر في الآخرة.

وفي الحديث دليل على أنَّ الله يثيب الثَّواب الكثير على العمل القليل، وفضل الله واسع.



الحديث الثالث عشر

عَنْ أَبِي الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أعْمالِكُمْ، وأزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وأرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيرٍ لَكُمْ مِنْ إنْفَاقِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أن تَلْقَوا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أعْنَاقَكُمْ؟**» قَالوا: بَلَى. قَالَ: «**ذِكر الله تَعَالَى**». رَوَاهُ أَحْمَدُ.

هذا الحديث أصل في بيان فضل الذِّكر وعلوِّ منزلته، وقد دلَّ على أنَّ الاشتغال بالذِّكر وملازمته أفضل من الصَّدقة والجهاد، **قال معاذ بن جبل** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لأن أذكر الله من بكرة إلى الليل أحبُّ إلي من أن

أحمل على جياد الخيل في سبيل الله من بكرة إلى الليل». **وقال أبو الدَّرداء:** «لأن أقول: الله أكبر مائة مرة أحبُّ إليَّ من أن أتصدَّق بمائة دينار». **وقال ابن رجب:** «وقد تكاثرت النُّصوص بتفضيل الذِّكر على الصَّدقة بالمال وغيرها من الأعمال».

وقد استُشكِل هذا لما ورد من فضل الصَّدقة والجهاد، **والجواب:** أنَّ الجمع بين النُّصوص الواردة في فضائل النَّوافل أنَّ العمل يكون أفضل على حسب الشخص والحال، فمن فُتح عليه الجهاد كان أفضل في حقه، ومن فُتح عليه الصَّدقة كانت أفضل في حقه، ومن فُتح عليه العلم كان أفضل في حقه، ومن لم يفتح عليه في هذه الأبواب كان الاشتغال بنوافل الذكر أفضل في حقه، وكثير من الخلق لا يتيسَّر لهم الجهاد والصَّدقة والعلم، **وقد سئل ابن تيمية عن أفضل الأعمال فقال:** «وأما ما سألت عنه من أفضل الأعمال بعد الفرائض: فإنه يختلف

باختلاف النَّاس فيما يقدرون عليه، وما يناسب أوقاتهم، فلا يمكن فيه جواب جامع مفصَّل لكل أحد، لكن ما هو كالإجماع بين العلماء بالله وأمره أنَّ ملازمة ذكر الله دائمًا هو أفضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة».

والمهمُّ أنَّ ذكر الله من أجل القربات، وأزكى الصَّالحات، وأعلى الدَّرجات؛ ولهذا **قال معاذ بن جبل** رضي الله عنه: «ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من النَّار من ذكر الله».

الحديث الرابع عشر

عن أَبي موسى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: «**أَلا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟**» فقلت: بلى يَا رسولَ الله، قَالَ: «**لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

دلَّ الحديث على فضل الحوقلة، وهي لا حول

ولا قوَّة إلا بالله، وأنَّ من قالها في الدُّنيا أعطي كنزًا من كنوز الجنَّة في الآخرة، والكنز هو المال النَّفيس، ولم يبيِّن لنا الشَّارع نوعه وقدره، مما يدلُّ على عظَمه وشرفه، وعطاء الله واسع، وفضله عميم. **ومعنى هذه الكلمة الجليلة:** أنَّه لا قدرة للعبد للتَّحول من المعصية إلى الطَّاعة، ومن الفقر إلى الغنى، ومن المرض إلى الصِّحة، ومن العسر إلى اليسر إلا بقوَّة الله وقدرته ومعونته، وحسن تدبيره، وهذا يقتضي تسليم العبد، واعترافه اعترافًا تامًّا بكمال ملك الله وعلمه وقدرته وحكمته، وأنَّه المدبِّر الفرد لشؤون الخلائق.

فهي كلمة استعانة، وتوكُّل، وتفويض الأمر إلى الله، وإذا قالها المؤمن موقنًا بها اطمأنَّ قلبه، وسكنت روحه، وذهب همُّه، ومن داوم على هذه الكلمة ذهبت عنه الشَّدائد، وانفرجت عنه الكروب، وصلحت أحواله.

وتستحبُّ الحوقلة عند الانتباه من الليل، وعند

سماع قول المؤذن: حيَّ على الصلاة وحيَّ على الفلاح، وعند الخروج من البيت، وبعد الصَّلاة.

ولا حرج أن يقول المسلم عند نزول المصيبة: لا حول ولا قوَّة إلا بالله إذا قصد الاستعانة بالله، ولم يقصد بها التضجُّر، والسُّنة أن يأتي بذكر الاسترجاع، **قال ابن تيمية:** «وذلك أن هذه الكلمة هي كلمة استعانة، لا كلمة استرجاع، وكثير من الناس يقولها عند المصائب بمنزلة الاسترجاع، ويقولها جزعًا لا صبرًا، فالجنيد أنكر على الشبلي حاله في سبب قوله لها إذ كانت حالًا ينافي الرِّضا، ولو قالها على الوجه المشروع لم ينكر عليه».

ولهذا ورد في البخاري لما بشَّر النَّبِيُّ ﷺ عثمانَ بالجنَّة على بلوى تصيبه فحمد الله عثمان رضي الله عنه **وقال:** «الله المستعان».

الحديث الخامس عشر

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: «كَانَ رسُولُ الله ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

دلَّ الحديث على مشروعية الذِّكر في جميع الأحوال، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٩١]. فيذكر المؤمن ربَّه قائمًا، وقاعدًا، ومضطجعًا، وعلى أي هيئة، في الليل والنَّهار، والسَّفر والحضر، والبر والبحر، والسِّر والعلن، وفي سائر الأحوال، إلاَّ في موضعين يكره الذِّكر فيهما:

الأول: قضاء الحاجة؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنه: «أن رجلًا مر ورسول الله ﷺ يبول فسلم فلم يرد عليه». رواه مسلم، فلا يشرع لمن كان في بيت الخلاء إذا عطس أن يحمد الله، ولا يشمت عاطسًا، ولا يرد

السلام، ولا يتابع المؤذن، واتفق الفقهاء على كراهة إلقاء السلام على من كان يقضي حاجته.

الثاني: حال الجماع؛ لأنه ينافي كمال الأدب مع الله تعالى.

ويحرم الذِّكر حين استماع خطبة الجمعة؛ لما في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت، والإمام يخطب؛ فقد لغوت**».

ويجوز للحائض والنفساء والجنب ذكر الله عز وجل بإجماع أهل العلم.

والشارع لم يجعل وقتًا أو حدًّا للذِّكر؛ ليكون المؤمن متَّصلًا بالله، بعيدًا عن الغفلة، مما جعل الذِّكر عبادةً سهلةً، ومع كونها سهلةً فقد رتَّب عليها الشارع ثوابًا عظيمًا. وفيه دليل على أنَّ ذكر الله بغير طهارة جائز بلا كراهة، وإن كانت الطَّهارة مستحبَّة،

فالأفضل للمؤمن أن يذكر الله على طهارة، فإن تركها فالأمر واسع. واستحبَّ الفقهاء استقبال القبلة في الذِّكر حين الجلوس؛ لأنَّ القبلة أشرف الجهات، **قال ابن مفلح:** «ويتجه في كلِّ طاعة إلاَّ لدليل». فإن تيسَّر فهو أفضل، وإلاَّ فالأمر واسع.

الحديث السادس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

هذا الحديث أصل في فضل مجالس الذِّكر والعلم في المساجد، وقد دلَّ الحديث على أنَّ من قعد في

حلق العلم؛ حصل له هذه الفوائد الأربعة: تنزل على قلبه السكينة، وتغشاه رحمة الله، وتحفُّه الملائكة بأجنحتها، ويثني عليه الله في الملأ الأعلى. وهذا يدلُّ على شرف هذا العمل الذي تحتفي به الملائكة، ويكون سببًا في نزول الرحمة، وحسن الثناء.

وهذه المجالس لها أثر عظيم في صلاح القلب وطمأنينته، وراحة البال، والوقاية من الفتن.

وهذا الفضل خاص بحلق الذِّكر في المساجد؛ لأنَّها أشرف البقاع وأحبَّها لله، فلا يلحق بها غيرها من الأماكن، وإن كان الاجتماع على الذِّكر خارج المسجد يكون فيه الأجر، لكن لا يثبت له هذا الفضل الخاص.

وفيه دليل على استحباب الاجتماع على تلاوة القرآن والذِّكر في المسجد والمدرسة وغيرها، إذا خلا هذا الاجتماع من البدعة: كالذِّكر بالصَّوت الجماعي،

وإحداث هيئة فعلية للذِّكر، أو اعتقاد مشروعيته في زمن معين، أو مكان مخصوص، فإذا خلا من البدع فالاجتماع على الذِّكر من أجلِّ القربات، وأطيب الصَّالحات، وقد كان الصَّحابة رضي الله عنهم يحرصون على فعله، **قال ابن تيمية:** «إنَّ الاجتماع لذكر الله واستماع كتابه والدُّعاء عمل صالح، وهو من أفضل القربات والعبادات في الأوقات، لكن ينبغي أن يكون هذا أحيانًا في بعض الأوقات والأمكنة، فلا يجعل سنةً راتبة يحافظ عليها».

وقد أنكر ابن مسعود رضي الله عنه على قوم اجتمعوا على بدعة الذِّكر الجماعي في جامع الكوفة **وقال:** «والذي نفسي بيده، إنَّكم لعلى ملة هي أهدى من ملَّةِ محمد، أو مفتتحو باب ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، مَا أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه».

الحديث السابع عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: **«مَنْ قَالَ حِيْنَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأتِ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلاَّ أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

دلَّ الحديث على فضل هذا الذِّكر، وأنَّ من يقوله في الصَّباح والمساء ويداوم عليه لم يأت أحد يوم القيامة بذكر أفضل منه، إلاَّ من أتى به وزاد عليه ذكرًا آخر. وينبغي على المشتغل بأذكار الصَّباح والمساء أن يأتي بها بتؤدة، وتأنٍّ، وتعقُّل، وتفهُّم؛ لينشرح صدره، وتأنس روحه، ويذوق حلاوة الإيمان، ولا يليق به أن يهذَّها هذَّ الشِّعر؛ فيسرع بذكرها من غير حضور قلب وتفهم؛ حتى لا يصبح كلامه لغوًا لا فائدة فيه، ومجرد عادة كحال بعض النَّاس.

والمواظبة على أذكار الصَّباح والمساء تحفظ المسلم من شرِّ ما خلق من الجنِّ والنَّاس، وتحميه من جميع الجوانب، وتقوِّي إيمانه، وتقربه للمولى، وتغفر ذنوبه المتكاثرة، وتمحو سيِّئاته، وتزيد من حسناته، وتنوِّر بصيرته، وتجعله حافظًا لعهد ربِّه، مخبتًا له، مظهرًا لفقره وفاقته لرحمة خالقه ورضاه، وتضمن له دخول الجنَّة بإذن الله.

وهذه الأذكار وقَّتها الشَّارع في الصُّبح والمساء، فلا تشرع إلا بها، فإذا فات وقتها لم يشرع الإتيان بها، وإنما يشرع الذِّكر المطلق في كلِّ وقت، فإذا أتى بها المسلم بعد انتهاء وقتها من غير عذر لم تجزئه على أنَّها من أذكار الصَّباح والمساء، وإنَّما تكون ذكرًا مطلقًا.

ولا يشرع رفع اليدين حال الإتيان بأذكار الصَّباح والمساء؛ لأنَّه لم يرد في السُّنة ما يدلُّ على استحباب

ذلك، فالسُّنة ترك رفع اليدين مطلقًا، سواء كان الذِّكر في الثَّناء والحمد، أو الدُّعاء، فينبغي على المسلم أن يقتدي بالسُّنة، ويلزم القصد، ولا يتكلَّف في الذِّكر، والخير في اتِّباع من سلف.

ودلَّ الحديث على أنَّ كثرة الفضل بحسب كثرة الذِّكر والعمل الصالح.

والسُّنة في الذكر المقيَّد التقيُّد بالعدد الوارد في السُّنة، والتقيُّد بالزَّمان، والمكان، والهيئة، ولا تشرع الزيادة عليه؛ لأن الثواب الخاص مرتب على الكيفية التي وردت في الشرع، أمَّا الذِّكر المطلق فلا يقيَّد بعدد، ولا زمان، ولا مكان، ولا هيئة.



الحديث الثامن عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ**». رَوَاهُ أَبُو دَاوُد.

دلَّ الحديث على كراهة خلوِّ المجلس من ذكر الله، ويستحبُّ أن يشغل بذكر الله ولو شيئًا من وقته، المهمُّ ألَّا يكون مجلس غفلة عن ذكر الله، **قال مجاهد:** «ما جلس قوم مجلسًا فتفرقوا قبل أن يذكروا الله؛ إلا تفرقوا عن أنتن من ريح الجيفة، وكان مجلسهم يشهد عليهم بغفلتهم، وما جلس قوم مجلسًا فذكروا الله قبل أن يتفرقوا؛ إلا أن يتفرقوا عن أطيب من ريح المسك، وكان مجلسهم يشهد لهم بذكرهم».

فينبغي للمؤمنين أن لا يجعلوا مجلسهم كلَّه مستغرقًا

في اللهو والباطل، بل يحسن بهم أن يذكِّروا بآية من كتاب الله، أو حديث شريف، أو موعظة، أو مسألة فقهية، وكثير من المجالس في هذا الزَّمن مجالس غفلة، لا يُذكر فيها الله، بل قد تكون محرَّمة؛ لما تشتمل عليه من المعصية، وقد بيَّن الله تعالى في كتابه أن الشَّيطان يزيِّن الخمر والقمار؛ ليصدَّ المسلم عن ذكر الله فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [المائدة: الآية ٩١].

وفيه دليل على كراهة النَّوم من غير ذكر الله، فيستحب للمؤمن أن يبيت على أذكار النوم، وسماع القرآن، ولا يكون من أهل الغفلة الذين يبيتون على سماع معازف الشَّيطان، **قال مجاهد** رحمه الله: «من استطاع ألَّا يبيت إلَّا طاهرًا ذاكرًا مستغفرًا فليفعل؛ فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه».

وفيه دليل على أنَّ المؤمن يتحسَّر يوم القيامة على ساعاته وأيَّامه ومجالسه التي قضاها في اللهو؛ لما يرى من الغبن على ضياع الحسنات والدَّرجات، **قال معاذ بن جبل** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ليسَ يَتَحَسَّرُ أهلُ الجنَّة على شيءٍ إلَّا ساعةً مَرَّت بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها». **وقال بعض السَّلف:** «يعرض على ابن آدم يوم القيامة ساعات عمره، فكل ساعة لم يذكر الله فيها تتقطَّع نفسه عليها حسرات».

الحديث التاسع عشر

عَنْ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الكَلاَمِ إِلَى اللهِ؟ إِنَّ أَحَبَّ الكَلاَمِ إِلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

دلَّ الحديث على أنَّ أحبَّ الكلام إلى الله: سبحان الله بحمده، وقد ورد فضل عظيم لهذه الكلمة؛ لما

اشتملت عليه من التَّنزيه والثَّناء، وقد كان النَّبِيُّ ﷺ يكثر من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه، كما ورد في «صحيح مسلم».

فينبغي للمؤمن الإكثار من التَّسبيح في سائر الأحوال، إلاَّ في الأوقات التي شرع فيها ذكر خاص: كالاستغفار، والصَّلاة على النَّبِيِّ ﷺ، ومتابعة الأذان، ورد السَّلام، وتشميت العاطس.

وسُئل ابن تيمية: أيهما أنفع للعبد: الاستغفار أم التَّسبيح؟ **فأجاب:** «إذا كان الثَّوب نقيًّا فالبخور وماء الورد أنفع له، وإذا كان دنسًا فالصَّابون والماء الحار أنفع له، فكيف والثِّياب لا تزال دنسة؟!».

وورد في «صحيح مسلم» قوله ﷺ: «**أحبُّ الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت**». وفيه دليل على أنَّ هذه الكلمات الأربع من أحبِّ الكلام إلى الله.

الحديث العشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ فُقَراءَ المُهَاجِرِينَ أَتَوْا رسُولَ اللهِ ﷺ، فقالوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثورِ بِالدَّرَجَاتِ العُلَى، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ، يَحُجُّونَ، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ. فَقَالَ: «**أَلاَ أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلاَ يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَل مِنْكُمْ إِلاَّ منْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟**» قالوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: «**تُسَبِّحُونَ، وَتَحْمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ**». قَالَ أَبُو صالح الراوي، عن أَبي هريرة، لَمَّا سُئِلَ عَنْ كَيْفِيَّةِ ذِكْرِهِنَّ قَالَ: يقول: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، واللهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنهُنَّ كُلُّهُنَّ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

دلَّ الحديث على فضل الذِّكر بعد الصَّلاة، وأنَّ

من التزم بعد كل صلاة التَّسبيح والتَّحميد والتَّكبير ثلاثًا وثلاثين، ثم ختم المائة بالتَّهليل؛ أدرك عمل من سبقه من المؤمنين، وسبق من أتى بعده ممن لم يأت بهذا الذِّكر، أمَّا من جاء بهذا الذِّكر وزاد عليه في العمل يكون أفضل منه.

وإنما خصَّ الشارع هذا الذِّكر بالفضل العظيم؛ لأنَّه جمع أصول الذِّكر، وأعظم المقامات، واشتمل على معاني العبادة: من التَّنزيه، والشُّكر، والتَّعظيم، والإخلاص.

ويستحبُّ هذا الذِّكر بعد الفرائض، ولا يشرع بعد النَّوافل، وتقال بعد الفريضة من غير فاصل، فإن انشغل عنها أو تركها وطال الفصل فات وقتها.

والأحاديث في صيغة هذا الذِّكر مجملة، ليست مفصلةً، فإن شاء أفرد الأذكار، فسبَّح ثلاثًا وثلاثين، وحمد ثلاثًا وثلاثين، وكبَّر ثلاثًا وثلاثين، وإن شاء

جمع بينها فقال: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ثلاثًا وثلاثين، **وقد سئل الإمام أحمد:** «هل يجمع بينهما أو يفرد؟ قال: لا يضيق». فالأمر في هذا واسع.

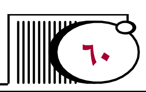
وقد ورد الذِّكر بعد الصَّلاة بأربع صيغ متنوعة في العدد، كلُّها ثابتة في السُّنة، ينبغي للمؤمن أن ينوِّع بينها، فيأتي تارة بصيغة، وتارة بصيغة أخرى، ولا يجمع بينها، وإن اقتصر على ما يحفظ فحسن.

والسُّنة أن يأتي بها منفردًا، فلا يشرع ذكرها مع الإمام، أو جماعة المسجد؛ لأنَّ هذا الذِّكر لا يشرع فيه الاجتماع؛ فينبغي على المسلم أن يذكرها بنفسه، ولا يتقيَّد بجماعة، وإنَّما يباح له متابعة غيره إذا كان جاهلًا بنطقها على سبيل التعليم والتَّلقين.

وقد سئل الإمام أحمد عن الاجتماع على الذِّكر والقرآن فأنكره؛ **فقال:** «يقرأ في المصحف، ويذكر الله في نفسه، ويطلب حديث رسول الله. قلت: فأنهاه؟

قال: نعم. قلت: فإن لم يقبل؟ قال: بلى، إن شاء الله، فإن هذا محدث الاجتماع، والذي تصف». وكذلك قال يحيى بن معين.

والأفضل أن يأتي بها في مصلاه، وليس خارج المسجد، وقد ورد في «صحيح البخاري»: أنَّ الملائكة تصلي على من مكث في مصلاه إذا كان على طهارة، تدعو له بالمغفرة والرحمة. والصَّحيح أنَّ هذا الفضل يثبت لعموم المسجد، ولا يختص بالموضع الذي صلَّى فيه، **قال ابن رجب:** «دلَّ هذا الحديث على فضل أمرين: أحدهما: الجلوس في المصلى، وهو موضع الصلاة التي صلاها، والمراد به المسجد دون البيت».

وفيه دليل على أنَّ الصَّحابة  لشدة حرصهم على فعل الخير كانوا يحزنون على فوات الخير، فالفقراء يحزنون على فوات أجر الصَّدقة، والضُّعفاء يحزنون على فوات أجر الجهاد، وهذا يدلُّ على كمال

إيمانهم؛ فينبغي للمؤمن أن يحزن على فوات الخير، والتَّقصير في الدِّين، ولا يجعل الدُّنيا أكبر همِّه، ومبلغ علمه.

الحديث الحادي والعشرون

عَنْ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «**يُصْبحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسْبيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْميدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبيرَةٍ صَدَقَةٌ، وأمْرٌ بالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

دلَّ الحديث على فضل هذه الكلمات الأربع: التَّسبيحة، والتَّحميدة، والتَّهليلة، والتَّكبيرة، وأنَّ كل كلمة منها إذا قالها المؤمن تكون صدقة منه، وهذا

الذِّكر من جوامع الذِّكر المطلق؛ ولذلك استحبَّه الشارع في عدد من المواطن؛ فينبغي للمؤمن المواظبة على هذا الذِّكر في سائر الأوقات، ولذلك ورد في «صحيح مسلم»: أنَّ قول هذه الكلمات الأربع أحبُّ مما طلعت عليه الشَّمس، وورد في الحديث: أنَّهن مع لا حول ولا قوَّة إلا بالله الباقيات الصَّالحات يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: الآية ٤٦]، قيل للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه: «ما الباقيات الصالحات؟ قال: هي لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده، والله أكبر، والحمد لله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله».

وفيه دليل على أنَّ المؤمن عليه أن يتصدَّق كلَّ يوم عن كل مفصل من مفاصله صدقةً، وعدَّتها ثلاثمائة وستون مفصلًا؛ شكرا للنِّعمة التي أسداها الله عليه

في تركيب هذه العظام وسلامتها، حتى تم خلقه سويًّا، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦- ٨]، وإذا أدَّى شكر هذه النِّعمة زحزحه الله عن النَّار، كما ورد في «صحيح مسلم».

ودلَّ الحديث على أنَّ شكر النِّعمة وأداء الصَّدقة يكون بالذِّكر، ويكون بكل كلمة طيِّبة، ومعروف إلى الناس، وكف الأذى عنهم، وخطى إلى المسجد، كما ورد في «الصَّحيحين».

وفيه دليل على أنَّ مفهوم الصَّدقة في الشَّرع غير مقتصر على المال، بل يشمل الخير المعنوي، سواء كان لازمًا أو متعديًا، فمن كان فقيرًا لا يستطيع الصَّدقة بالمال تصدَّق بكل كلام طيِّب معروف وإحسان.

وهذا يدلَّ على كمال حكمة الشَّريعة، وسماحتها،

وصلاحها للخلق، **قال ابن رجب:** «فالصَّدقة تطلق على جميع أنواع فعل المعروف والإحسان، حتَّى إنَّ فضل الله الواصل منه إلى عباده صدقة منه عليهم، وقد كان بعض السَّلف ينكر ذلك ويقول: إنما الصَّدقة ممن يطلب جزاءها وأجرها. والصحيح خلاف ذلك، وقد قال النَّبِيُّ ﷺ في قصر الصَّلاة في السَّفر: «**صدقة تصدَّق الله بها عليكم؛ فاقبلوا صدقته**» خرَّجه مسلم».

وفيه دليل على أنَّ ركعتي الضُّحى تجزئ في شكر النِّعمة عن جميع الصَّدقات؛ لأن في الصَّلاة استعمال كل الأعضاء في العبادة؛ فتكفي في شكر سلامة الأعضاء كلها، فمن أدَّاها كان شاكرًا في يومه، وقد دلَّت النصوص على تأكُّد استحباب صلاة الضُّحى، وقد كان النَّبيُّ ﷺ يأمر أصحابه بها؛ فينبغي على المؤمن ألَّا يفرط في هذا الفضل العظيم.

الحديث الثاني والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ للهِ تَعَالَى مَلائِكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فإذا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِم إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ** - وَهُوَ أَعْلَم -: **مَا يقولُ عِبَادِي؟ قَالَ: يقولون: يُسَبِّحُونَكَ، ويُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، ويُمَجِّدُونَكَ، فيقول: هَلْ رَأَوْنِي؟ فيقولونَ: لا واللهِ مَا رَأَوْكَ. فيقولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْني؟ قَالَ: يقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. فَيَقُولُ: فماذا يَسْأَلونَ؟ قَالَ: يقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ. قَالَ: يقولُ: وَهل رَأَوْها؟ قَالَ: يقولون: لا واللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يقول: فَكيفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يقولون: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وأشدَّ لَهَا طَلَبًا،**

وأعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يقولون: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ؛ قَالَ: فيقولُ: وَهَلْ رَأوْهَا؟ قَالَ: يقولون: لا واللهِ مَا رَأوْهَا. فيقولُ: كَيْفَ لَوْ رَأوْهَا؟ قَالَ: يقولون: لَوْ رَأوْهَا كانوا أشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وأشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فيقولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم، قَالَ: يقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ: فِيهم فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

دلَّ الحديث على شرف مجالس الذِّكر، وأنَّ هناك ملائكة خلقهم الله، ووكَّلهم بوظيفة التماس الذِّكر، طوَّافين في الأرض يبحثون عن أهل الذِّكر، فإذا وجدوهم أخبروا غيرهم، وحثُّوهم على اغتنام هذا الفضل، **قال ابن القيم:** «إن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين؛ فليتخير العبد أعجبهما إليه وأَولاهما به فهو مع أهله في الدنيا والآخرة».

وفيه دليل على أنَّ الملائكة تحفُّ أهل الذِّكر بأجنحتها من مجلسهم إلى بلوغ السَّماء الدنيا، وهذا يدلُّ على فضلهم.

ودلَّ الحديثُّ على أنَّ الله جل جلاله يسأل الملائكة عما يقولون - وهو أعلم بهم - وهذا يدلُّ على فضلهم.

وفيه دليل على فضل الأذكار: من التَّسبيح، والتَّكبير، والتَّحميد، والتَّمجيد؛ لأنَّهم نالوا هذا الفضل بهذا الذِّكر.

وفيه دليل على فضل العبادة والذِّكر في الغيب، فالمؤمن يعبد ربه ويذكره ليقينه بوجوده، وتفرده بالرُّبوبية والألوهية، وكمال تصديقه بوعده ووعيده، وثوابه وعذابه، وهذا ما يميزه عن الكافر والمنافق؛ فشدة الإقبال على العمل الصالح والاشتياق إلى لقاء الله يدل على كمال اليقين وقوَّة البصيرة.

وفيه دليل على أنَّ أعظم مراد المؤمن في الدُّنيا،

وأكبر أمنية، وأهم سؤل هو دخول الجنَّة، والنَّجاة من النَّار؛ ولذلك كان النَّبِيُّ ﷺ يكثر من سؤال الجنَّة، والاستعاذة من النَّار، وفي «الصَّحيحين» عن أنس رضي الله عنه قال: «كان أكثر دعاء النبي ﷺ: اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار». وفي الحديث دليل على أنَّ ملازمة مجالس الذِّكر واحتساب الأجر في ذلك سبب لغفران الذُّنوب، والتَّعرض لرحمة الله.

ودلَّ الحديث على أنَّ من جلس في مجالس الذِّكر لا يقصد الانتفاع بالذّكر، وإنما جلس ليصيب حاجة من الدُّنيا أنَّ رحمة الله ومغفرته تشمله؛ بسبب بركة عمل الصَّالحين ومجاورته لهم، وفي هذا ترغيب للغافل في حضور مجالس الخير، فلعلَّه يسمع كلمة تفتح مغاليق قلبه، وتنقله من الظُّلمة إلى النُّور، وتجعله من أهل السَّعادة.

الحديث الثالث والعشرون

عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إذَا رَأى أحَدُكُمْ مِنْ نَفْسِهِ أوْ مَالِهِ أوْ أخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ لَهُ بالبَرَكَة؛ فَإنَّ العَيْنَ حَقٌّ»**. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ اليَومِ وَالليلَةِ».

دلَّ الحديث على فضل ذكر الله عند رؤية ما يعجب العين، فيستحبُّ للمؤمن إذا رأى شيئًا حسنًا يعجب نفسه أن يبرِّك فيقول: بارك الله فيه، أو بارك عليه؛ لتحلَّ البركة فيه، ويحميه من العين والسُّوء، وهذا عام في كل شيء: في الإنسان، والحيوان، والمتاع، والمركب، والبيت، وكل ما يعجب النفس ويسر الناظر، **قال ابن القيم في «الزاد»:** «وإذا كان العائن يخشى ضرر عينه وإصابتها للمعين فليرفع شرها بقوله: اللهم بارك عليه، كما قال النبي ﷺ لعامر بن ربيعة لما

عان سهل بن حنيف: «**ألا برَّكت عليه**»، ومما يدفع إصابة العين قول: ما شاء الله لا قوَّة إلاَّ بالله، روى هشام بن عروة عن أبيه أنَّه كان إذا رأى شيئًا يعجبه قال: ما شاء الله لا قوَّة إلاَّ بالله». اهـ.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: الآية ٣٩]، **قال بعض السَّلف:** «من أعجبه شيء من ماله أو ولده فليقل: ما شاء الله لا قوَّة إلاَّ بالله». وينبغي للمؤمن أن يحصِّن نفسه وأهله من العين؛ لما ورد في النَّسائي عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوَّذ من عين الجان، وعين الإنس، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك»، وكان النبي ﷺ يأمر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن تسترقي من العين، كما ورد في «الصحيحين».

وفيه دليل صريح على ثبوت العين الحاسدة، وعظم خطرها على المعيون.

وحقيقة العين: هي إعجاب في نفس الحاسد، مصحوب بإرادة السوء؛ فتتوجه نفسه الخبيثة وتصيب المعيون بسهم حاسد؛ فيترتب على هذه النظرة أثر حسي من إتلاف مال، أو هلاك نفس، أو تعطيل عضو، أو داء روحي، أو تعطيل منفعة، وقد تكون الإصابة ضعيفة، وقد تكون قوية، ولا تزول العين غالبًا إلا بالرقية الصحيحة، وإذا كانت العين قديمة في المعيون لا تزول منه إلا بمشقة.

والعين من قدر الله، سبب خلقه الله، قد تصيب وقد تخطئ بإذن الله، وقد بين النبي ﷺ عظم خطرها فقال: «**العين حق، فلو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استُغسلتم فاغسلوا**». رواه مسلم؛ ولذلك أرشد الله بالاستعاذة من الحسد قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفَلَق: الآية ٥]، وكل عائن حاسد، وليس كل حاسد عائنًا.

الحديث الرابع والعشرون

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ العَبْدُ: اللهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إلهَ إلاَّ أنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أَنْتَ. مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ، وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**». رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

دلَّ الحديث على فضل هذا الذِّكر واستحبابه في الصَّباح والمساء. وهذا الذِّكر من أجمع وأتمِّ الاستغفار، وسمَّي سيِّد الاستغفار؛ لاشتماله على أصول معاني التَّوبة، والإنابة، والافتقار، والإخلاص، والشُّكر.

وقد اشتمل سيِّد الاستغفار على ست جمل، تحتوي على معان جليلة:

أمَّا الأولى: فهي الإقرار بأنَّ الله متفرد في الربوبيَّة والألوهيَّة، وهذا مقام التَّوحيد.

والثَّانية: الإقرار بالعهد الذي أخذه الله على عباده من عبادته، والقيام بحقِّه، وهذا مقام الوفاء بالعهد وأداء الأمانة.

والثَّالثة: الاستعاذة من شرِّ الذُّنوب التي يزيِّنها الشَّيطان والهوى، وهذا مقام الالتجاء والاعتصام بالله.

الرَّابعة: الاعتراف بنعمة الخالق، وهذا مقام الشُّكر.

الخامسة: الاعتراف بالذَّنب والتَّقصير، وهذا مقام النَّدم من التَّفريط في حق الله.

السَّادسة: طلب المغفرة، والاعتراف بأنَّ الغفران حقٌّ تفرَّد به الله، وهذا مقام التَّوبة.

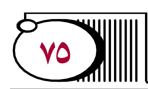
والحاصل: أنَّ هذا الذِّكر عظيم، من استحضر معناه وواظب على ذكره حصل في قلبه انكسار، وإنابة، وحياء من المنعم، **قال ابن تيمية:** «فجمع في قوله : «**أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي**» مشاهدة المنَّة، ومطالعة عيب النفس والعمل. فمشاهدة المنَّة توجب له المحبة والحمد والشُّكر لولي النِّعم والإحسان، ومطالعة عيب النَّفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتَّوبة في كل وقت، وأن لا يرى نفسه إلا مفلسًا».

وفيه دليل على أنَّ من قال هذا الذِّكر جازمًا بمعناه في الصُّبح، فمات قبل المساء دخل الجنَّة، ومن قاله في المساء فمات قبل الصُّبح دخل الجنَّة.

وفيه دليل على فضل المواظبة على أذكار الصَّباح والمساء.

وفيه دليل على أنَّ فضل دخول الجنَّة والنَّجاة من النار الذي رتَّبه الشارع على قول الأذكار لا تحصل

لقائلها إلاَّ إذا كان جازمًا بمعناها، عاملًا بمقتضاها، أمَّا من قالها وهو شاكٌّ فيها، أو غير مؤمن بها؛ فلا تنفعه في الآخرة.



الحديث الخامس والعشرون

عَنْ سَعدِ بنِ أَبِي وقاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كنا عِنْدَ رسول الله ﷺ فَقَالَ: «**أيعجزُ أحَدُكُمْ أنْ يَكْسِبَ في كلِّ يومٍ ألْفَ حَسَنَةٍ؟**» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ ألفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «**يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسبِيْحَةٍ؛ فَيُكْتَبُ لَهُ ألْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ ألفُ خَطِيئَةٍ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

دلَّ الحديث على فضل التَّسبيح، وأنَّ من سبَّح الله مائة تسبيحة أعطاه الله ألف حسنة، أو حطَّ عنه ألف سيِّئة، وهذا يدلُّ على أنَّ التَّسبيحة بعشر حسنات.

وهذا من الذِّكر المطلق الذي لا يقيَّد بوقت؛ فيستحبُّ

الإكثار منه، والحرص على فضله، وقد أمر الله عباده بالتسبيح في الصباح والمساء، قال تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: الآية ٤٢].

والتَّسبيح معناه: تنزيه الله، وتبرئته من كل عيب ونقص، تنزيه يراد منه تعظيم جلال الله، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصَّافات: الآية ١٨٠]. فالمؤمن ينزِّه الله جل جلاله عما نزَّه الله عن نفسه من الصَّاحبة، والوالد، والولد، والشَّريك، والنِّد، والضد، والجهل، والعجز، والضَّلال، والنِّسيان، والسِّنة، والنَّوم، والموت، والعبث، والباطل، والبخل، والظلم، وغير ذلك من النَّقائص. **قال يزيد بن الأصم:** جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال: «لا إله إلَّا الله نعرفها: لا إله غيره، والحمد لله نعرفها: أن النَّعم كلَّها منه، وهو المحمود عليها، والله أكبر نعرفها: لا شي أكبر منه، فما سبحان الله؟ قال: كلمة رضيها الله عز وجل لنفسه، وأمر بها ملائكته

وفزع لها الأخيار من خلقه». **قال ابن تيمية:** «والأمر بتسبيحه يقتضي أيضًا تنزيهه عن كل عيب وسوء، وإثبات صفات الكمال له، فإن التَّسبيح يقتضي التَّنزيه والتَّعظيم، والتَّعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها؛ فيقتضي ذلك تنزيهه، وتحميده، وتكبيره، وتوحيده».

الحديث السادس والعشرون

عَنْ ابنِ عَباسٍ رضي الله عنهما عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**لَوْ أنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أتَى أهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ الله، اللهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

دلَّ الحديث على فضل هذا الذِّكر واستحبابه قبيل ابتداء الجماع بين الزوجين، ويكره الذِّكر حال الجماع، وقد فسِّر برواية أبي داود: «**لو أنَّ أحدكم إذا أراد أن يأتي**

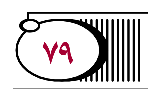
أهله...».

وفيه دليل على أنَّ من قال: بسم الله، اللهم جنِّبنا الشَّيطان، وجنِّب الشَّيطان ما رزقتنا، ثم كتب له ولد بسبب هذا الجماع لم يتسلَّط الشَّيطان على الولد حين ولادته في عقله وبدنه، فلا يحصل له أذى ومكروه؛ فينبغي للمؤمن المحافظة على هذا الذِّكر؛ ليحفظ الله الولد من ضرر الشَّيطان.

وفيه دليل على أنَّ الشَّيطان ملازم للإنسان، يشاركه في الاستمتاع بملذاته، فإذا ذكر الله هرب وانكفأ شره، قال تعالى: ﴿وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ [الإسراء: ٦٤]، **قال مجاهد:** «إذا جامع الرجل ولم يسم؛ انطوى الجان على إحليله فجامع معه، فذلك قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾ [الرحمن: الآية ٥٦].

وفيه دليل على أثر البسملة والدُّعاء في طرد الشَّيطان، وحلول البركة؛ فينبغي للمؤمن المواظبة على التَّسمية

والاستعاذة والدُّعاء في سائر الأحوال.



الحديث السابع والعشرون

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، وَاجْعَلْهُنَّ مِنْ آخِرِ كَلَامِكَ؛ فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مُتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ**». قَالَ: فَرَدَّدْتُهُنَّ لِأَسْتَذْكِرَهُنَّ فَقُلْتُ: آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. قَالَ: «**قُلْ آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

دلَّ الحديث على استحباب هذا الذِّكر عند النَّوم، وهو من جوامع أذكار النَّوم؛ لما اشتمل عليه من العبادات القلبيَّة التي توثِّق صلة العبد بربِّه.

وقوله: «**أسلمت وجهي لله**»: هو إخلاص العمل لله، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٢]، **قال سعيد بن جبير:** «بلى من أسلم»: أخلص، «وجهه» قال: دينه، «وهو محسن» أي: متبع فيه الرسول ﷺ.

وقوله: «**فوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك**»: هو حسن التوكُّل على الله، والاستعانة به، ومن توكَّل على الله كفاه، قال تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غَافر: الآية ٤٤]، **قال ابن كثير:** «وأتوكل على الله وأستعينه».

وقوله: «**رغبة ورهبة إليك**»: هو مقام الرجاء ومقام الخوف، والمؤمن قلبه بين الرَّجاء والخوف، راغب في رحمة الله وثوابه، وراهب من غضب الله وعذابه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبيَاء: الآية ٩٠].

قوله: «**لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك**»: هو الهرب من عقوبة الله إلى عفوه، ومن غضب الله إلى رحمته، ومن فرَّ إلى الله انقطع قلبه عن الخلائق، قال تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [التّوبَة: الآية ١١٨]، وكان النَّبِيُّ ﷺ يقول في سجوده: «**اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**». رواه مسلم، فالله إذا خفت منه هربت إليه، والمخلوق إذا خفت منه هربت منه.

وقوله: «**آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت**»: هو الإيمان بنزول القرآن، وثبوت رسالة نبينا محمد ﷺ.

وفيه دليل على استحباب الوضوء عند النَّوم؛ ليختم المؤمن ليلته بالطهارة الظَّاهرة، ويجمع معها طهارة القلب بهذا الذِّكر من البراءة من الشِّرك والنِّفاق، وحول

النَّفس؛ فيكون متطهِّرا في الظَّاهر والباطن، **قال مجاهد:** «قال لي ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لا تبيتنَّ إلا على وضوء؛ فإنَّ الأرواح تبعث على ما قبضت عليه».

ولا حرج على المؤمن - ولو كان جُنبًا - المبيت من غير طهارة، ولكن يستحبُّ للجنب أن يغسل فرجه ويتوضأ قبل النَّوم، ولا يلزمه.

وفيه دليل على استحباب الاضطجاع على الشِّق الأيمن في ابتداء النَّوم، وهذه الهيئة مستحبَّة وليست بواجبة، فإن نام على ظهره، أو على الشِّق الأيسر، أو على بطنه جاز بلا كراهة، ولا يصحُّ الحديث في النَّهي عن النَّوم على البطن، وقد أعله البخاري وابن أبي حاتم والدارقطني والمزي بالاضطراب.

وفي الحديث دليل على مشروعية المواظبة على الألفاظ النبوية في الأذكار الشرعية، وعدم تغييرها؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ استدرك على البراء حين غيَّر اللفظ وأرشده

للصَّواب، ولا يشرع لأحد أن يحدث ذكرًا ويستحبَّه، سواء كان مطلقًا أو مقيدًا. وفيه دليل على استحباب تأخير هذا الذِّكر إلى آخر الكلام قبل النَّوم.

ودلَّ الحديث على أنَّ من قال هذا الذِّكر ثم مات في منامه مات على فطرة الإسلام، ومن مات على الإسلام دخل الجنَّة، وهذا يدلُّ على عظم فضله، وهنيئًا لمن مات على الإسلام ولم يغيِّر دينه قبل الممات، قال تعالى: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: الآية ١٠١].

الحديث الثامن والعشرون

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ**». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

دلَّ الحديث على استحباب التَّسمية قبل البدء بالطَّعام والشَّراب؛ ليبارك الله في طعامه، ويمنع منه الشَّيطان، ولا يشرع التَّسمية عند كلِّ لقمة، إنما المشروع في أوَّله.

ودلَّ أيضًا على أنَّ المؤمن إذا نسي التَّسمية في أوَّل الأكل، ثم ذكر أثناء طعامه فليقل: بسم الله في أوله وآخره، فإذا ذكر بعد فراغه من الأكل فلا يسمِّ ولا شيء عليه؛ لأن التَّسمية غير واجبة؛ لأنَّه ذكر فات محلَّه.

وينبغي على المؤمن أن يحرص على الإتيان بالتَّسمية عند الأكل ولا يفرِّط؛ حتى لا يفوته الأجر، ولا تنزع البركة من طعامه.

والتَّسمية لها فضل عظيم، يستحبُّ البدء بها في كل أمر مهمٍّ، وقد شرعت عند الطَّعام، والذَّبح، ودخول الخلاء، ودخول البيت، وعند الجماع، وعند

تلاوة القرآن، ومجالس الذِّكر، وافتتاح الرَّسائل والكتب، وعند الوضوء، وعند ركوب الدَّابة، وعند إطفاء المصباح وتغطية الإناء وغلق الأبواب، وعند الاستشفاء.

ومعناها: بسم الله أفعل هذا الأمر؛ فأذكر اسم الله العظيم في ابتداء فعلي؛ ليبارك الله لي في هذا الفعل ويتمَّه لي، ويطرد عني الشَّيطان.

والأفضل الاقتصار على اللفظ الوارد «بسم الله»، وعدم الزيادة عليه، فإن زاد «الرَّحمن الرَّحيم» فحسن، **قال ابن تيمية:** «وإذا قال عند الأكل: بسم الله الرحمن الرحيم كان حسنًا، فإنَّه أكمل، بخلاف الذبح فإنه قد قيل: إنَّ ذلك لا يناسب». ومراده أن ذكر «الرَّحمن الرَّحيم» لا يناسب المقام؛ لأنَّ الذَّبح فيه تعذيب، فلا يناسب ذكر الرَّحمة، ولم يصب من قال: الزِّيادة على البسملة عند الطَّعام بدعة.

الحديث التاسع والعشرون

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

دلَّ الحديث على فضل الحمد، وأنَّ من آداب الأكل أن يقول المؤمن بعد فراغه من الأكل والشرب: الحمد لله، وهذا ذكر مستحبٌّ وليس بواجب، ولا يستحبُّ قوله بعد كلِّ لقمة.

وقد ورد في السُّنة صيغ متنوِّعة في حمد الله بعد الفراغ من الطعام؛ فيستحبُّ التنويع فيها، وإن اقتصر على قول: الحمد لله فحسن، وفي «صحيح البخاري» عن أبي أمامة: أن النَّبِيَّ ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: «**الحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غير مكفي، ولا**

مودع، ولا مستغنى عنه ربنا».

ومعناه: أنَّ الله كافي الخلق، وغير متروك لشدَّة الحاجة إليه، ولا يستغني عنه الخلق طرفة عين، وهو مستغن عن كل أحد، فهو المنعم المتفضِّل المحمود على كل حال، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فَاطِر: الآية ١٥].

وفي الحديث دليل على أنَّ الحمد في الطعام والشَّراب سبب لرضا الله، والله جل جلاله يشكر عباده، ويثيب بالكثير على القليل.

وقد ورد فضل عظيم للحمد، واستحبَّه الشارع في كثير من المواطن: عند الأكل، والنَّوم، والاستيقاظ، والعطاس، ولبس الثوب الجديد، وركوب الدَّابة، وصلاة التهجُّد، وعند ابتداء الخطبة والموعظة، وعند فقد الولد، وعند رؤية المبتلى. **قال ابن القيم:** «فالحمد إخبار عن محاسن المحمود، مع حبِّه وإجلاله وتعظيمه».

والحمد يتضمَّن إقرار العبد بغنى الله وكماله، وافتقاره إلى هدايته ونعمه، فقلبه موقن أنَّ المنعم والمتفضِّل هو الله جل جلاله. **قال الحسن:** «ما من نعمة إلا والحمد لله أفضل منها»، ومراده أنَّ الحمد نعمة دينيَّة، وهي أفضل من النِّعم الدُّنيوية. **قال ابن رجب:** «فإنَّ النِّعم الدُّنيوية إن لم يقترن بها الشُّكر كانت بليَّة، كما قال أبو حازم: كل نعمة لا تقرب من الله فهي بلية. فإذا وفَّق الله عبده للشُّكر على نعمه الدُّنيوية بالحمد أو غيره من أنواع الشكر كانت هذه النِّعمة خيرًا من تلك النِّعم، وأحبُّ إلى الله عز وجل منها، فإنَّ الله يحب المحامد».



الحديث الثلاثون

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ؛ قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ**».
رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

دلَّ الحديث على أنَّ من ذكر الله عند دخوله للبيت لم يبت معه الشَّيطان وأعوانه في بيته، وإذا لم يذكر الله بات معه الشَّيطان وأعوانه، وفي رواية عند مسلم قال: «**وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه وإن لم يذكر اسم الله عند دخوله**».

وقد روي في «سنن أبي داود» ذكر دخول المنزل،

قال رسول الله : «**إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج، بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربِّنا توكَّلنا، ثم ليسلِّم على أهله**». وقد أُعل بالانقطاع، ولا يصح في دخول المنزل ذكر معين إلا التسمية، وإذا زاد فذكر الله بأي صيغة فحسن، وقد ورد أدب جليل عند دخول المنزل وهو السلام على أهل البيت، قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النُّور: الآية ٦١].

وفيه دليل على أنَّه إذا سمَّى الله على الطَّعام لم يشاركه الشَّيطان في طعامه، ولم ينتفع به، وإذا لم يذكر الله شاركه في طعامه.

وفيه دليل على استحباب الذِّكر عند الدُّخول للمنزل، وعند الطَّعام.

وفيه دليل على أنَّ الذِّكر يبارك في الأماكن والمنافع

ويطرد عنها الشَّياطين، ويقي من الشُّرور، وفي المقابل الغفلة عن ذكر الله، وإظهار المعازف والفواحش تجلب الشياطين، وتكون سببًا في تسلطها وغوايتها، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزّخرُف: الآية ٣٦].

الحديث الحادي والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

دلَّ الحديث على فضل «سبحان الله وبحمده»، وأنَّ من قالها مائة مرة غفرت سيِّئاته، وإن كانت كثيرة بقدر الرَّغوة التي تعلو البحر، فهذا الذِّكر يكفر الصَّغائر، أمَّا الكبائر فلا تكفَّر إلا بالتَّوبة، قال تعالى:

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النِّساء: الآية ٣١].

وفي رواية مسلم دليل على أنَّ هذا الذِّكر من أذكار الصَّباح والمساء؛ فيستحب المواظبة عليه بعد صلاة الصُّبح، وصلاة العصر، قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: الآية ٣٩].

والتَّحميد أفضل من التَّسبيح، **قال ابن رجب:** «وبكل حال: فالتَّسبيح دون التَّحميد في الفضل، كما جاء صريحًا في حديث علي، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، والرجل من بني سليم: أنَّ التَّسبيح نصف الميزان، والحمد لله تملؤه، وسبب ذلك أنَّ التَّحميد إثبات المحامد كلِّها لله؛ فدخل في ذلك إثبات صفات الكمال ونعوت الجلال كلِّها، والتَّسبيح هو تنزيه الله عن النَّقائص والعيوب والآفات، والإثبات أكمل من السَّلب؛ ولهذا لم يرد التَّسبيح مجردًا،

لكن مقرونًا بما يدلُّ على إثبات الكمال، فتارةً يقرن بالحمد كقول: سبحان الله وبحمده، وسبحان الله والحمد لله، وتارةً باسم من الأسماء الدَّالة على العظمة والجلال كقوله: سبحان الله العظيم».

الحديث الثاني والثلاثون

عَنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّهَا أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى، وَبَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَقِيقٌ فَلَمْ تُصَادِفْهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ، قَالَ فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ فَقَالَ: «**عَلَى مَكَانِكُمَا**»، فَجَاءَ فَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى بَطْنِي فَقَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا، أَوْ أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا**

وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

دلَّ الحديث على فضل هذا الذِّكر عند النَّوم. وفيه دليل على أنَّ ملازمة هذا الذِّكر يعين المرأة على القيام بخدمة الزَّوج وشؤون المنزل، ويسهِّل لها الأمور، ويعين المؤمن على القيام بأعمال الدُّنيا ومصاعبها؛ لأنَّه يشرح الخاطر، ويبارك في الوقت، ويقوِّي القلب، ويصلح النيَّة؛ ولذلك ورد في القرآن أنَّ ذكر الله يثبِّت المؤمنين في القتال، وينصرهم على عدوهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٤٥].

وفيه دليل على وجوب خدمة المرأة زوجها بالمعروف، والمرأة الصَّالحة تحتسب الأجر في طاعة زوجها؛ لتنال رضا ربها، وقد كان النَّبيُّ ﷺ يأمر زوجاته بخدمته، **وقالت أسماء بنت أبي بكر** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «كنت أخدم الزبير خدمة البيت كلِّه، وكان له فرس وكنت أسوسه، وكنت أحتشُّ

له وأقوم عليه». **وقال ابن تيمية:** «وتجب خدمة زوجها بالمعروف من مثلها لمثله، ويتنوَّع ذلك بتنوُّع الأحوال، فخدمة البدويَّة ليست كخدمة القرويَّة، وخدمة القويَّة ليست كخدمة الضعيفة».

وفي الحديث: اعتناء المؤمن بابنته المتزوجة، وتوجيهها، واحتواء شكواها، وإعانتها على صلاح حالها مع زوجها، ونجاحها في بيت الزوجية، وبذل المعروف لها من كلمة طيبة، وتنبيه حسن، ودعوة صادقة، ونصيحة مشفقة، وما ينقصها من متاع الدنيا على حسب الاستطاعة والطاقة، وهذا من المعروف والإحسان الداخل في صلة الرحم.



الحديث الثالث والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ**». رواه مُسْلِمٌ.

دلَّ الحديث على كراهة تشبيه البيت بالمقابر بهجران الذِّكر والطَّاعة فيها؛ لأنَّ المقابر انقطع فيها العمل وإذا عطِّلت البيوت عن العمل الصَّالح صارت كالمقابر، وصار أصحابها كالموتى، وهذا يدلُّ على استحباب إعمار البيت بذكر الله: من صلاة، وتلاوة، وتسبيح، ودعاء؛ ولذلك كان النَّبيُّ ﷺ يواظب على فعل نوافل الصَّلاة في بيته، وكان يقوم الليل فيه. وإعمار البيوت بالطاعة والذِّكر له أثر حسن في صلاح الأهل والعيال.

وفيه دليل على أنَّ تلاوة سورة البقرة في البيت تطرد الشَّياطين، ويفرون منها، وهذا يدلُّ على عظم بركة سورة البقرة، ولا يحصل هذا الفضل إلا بقراءة السُّورة كاملة، أما قراءة بعضها فلا يحصل به المقصود، ولا يشترط في القراءة أن تكون متَّصلة، فلو قرأ بعضها ثم أتمَّها في نفس اليوم صدق عليه أنَّه قرأها، ولا دليل على تكرارها ثلاثًا، أو أسبوعًا؛ لأنَّ الشَّارع لم يؤقتها، ولكن يقرأها كلما احتاج لذلك أو تيسَّر له.

وسورة البقرة لها شرف عظيم، قال النبي ﷺ: «**اقرؤوا البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة السحرة**». رواه مسلم، فمن واظب على تلاوتها، والتدبر في معانيها، والعمل بما فيها حصل له بركة عظيمة في دينه ودنياه، وكانت حصنًا له، وحماية من السحرة، ومن فرط فيها وتهاون في فضلها وأعرض

عنها فاته خير عظيم، ولحقه حسرة على تفريطه يوم القيامة.

وفي سورة البقرة أعظم آية في كتاب الله - وهي آية الكرسي - كما ورد في حديث أبي بن كعب في «صحيح مسلم»، وفي «صحيح البخاري»: من قرأها عند نومه لم يزل عليه من الله حافظ، ولم يقربه شيطان حتى يصبح.

الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

دلَّ الحديث على استحباب التَّكبير عند صعود مرتفع، وإنما شرع التَّكبير لمناسبة المحلِّ؛ فإنَّ الإنسان إذا صعد تعاظم في نفسه؛ فناسب أن يذكر أن الله أكبر وأعظم من

كل شيء، ولا يتعاظمه شيء.

ودلَّ على استحباب التَّسبيح عند النُّزول، وإنما شرع التَّسبيح لتنزيه الله؛ لأنَّ النُّزول سفول يقتضي النَّقص؛ فناسب تنزيه الله عن النَّقص، والشارع يختار الذِّكر على حسب مناسبة المحل؛ ولذلك يقول المصلي: «سبحان ربي العظيم» حال الرُّكوع، و«سبحان ربي الأعلى» حال السُّجود، ويقول الخارج من الخلاء: «غفرانك» ليتطهَّر من الأذى المعنوي كما تطهَّر من الأذى الحسِّي.

وهذا الذِّكر مستحبٌّ في السَّفر خارج المنازل، أما الصُّعود والنُّزول في البنيان فلا يشرع؛ لأنَّه لم ينقل لنا أنَّ النَّبِيَّ ﷺ فعله في الحضر.

والسُّنة خفض الصَّوت بالذِّكر وعدم رفع الصَّوت به؛ لما ورد في «الصَّحيحين»: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال للصَّحابة رضي الله عنهم لما رفعوا أصواتهم بالذِّكر: «**يا أيُّها**

الناس، اربعوا على أنفسكم؛ فإنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنَّه معكم، إنَّه سميع قريب».

ورفع الصوت بالذكر في تشييع الجنائز بدعة أحدثها المتأخرون، ليس من هدي النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وقد أنكرها أئمة السنة. أما التَّلبية في المناسك، والتَّكبير في العيدين وأيام العشر وأيام التَّشريق فقد ورد الجهر بها، **وقال ابن رجب في الأذكار أدبار الصلوات:** «وذكر عن أحمد نصوصًا تدلُّ على أنَّه كان يجهر ببعض الذِّكر ويسر الدُّعاء، وهذا هو الأظهر، وأنَّه لا يختصُّ ذلك بالإمام، فإنَّ حديث ابن عباس هذا ظاهره يدلُّ على جهر المأمومين أيضًا». وينبغي للمؤمن أن يتَّبع السُّنة؛ فيجهر في مواطن الجهر ويخفي في مواطن الإخفاء.

الحديث الخامس والثلاثون

عَنْ زَيدِ بنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَدْخُلَ فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ.

دلَّ الحديث على أنَّ بيت الخلاء موضع قضاء الحاجة مكان تأوي إليه الشَّياطين؛ لأنَّها تحبُّ الأماكن الخبيثة والرَّوائح الخبيثة، وتكره الأماكن الطيِّبة والرَّوائح الطيِّبة، **قال ابن القيم:** «والأرواح الخبيثة تأنس بالرَّوائح الخبيثة، وتألف أماكن القاذورات». والملائكة بالعكس تكره الأماكن النَّجسة، والرَّوائح الخبيثة، وتحب الأماكن الطَّاهرة والروائح الطيِّبة؛ ولذلك ينبغي على المؤمن أن يحرص على الطَّهارة، والرَّوائح الطيبة في بدنه، وثوبه، وبيته.

وفيه دليل على استحباب هذا الذِّكر قبل دخول الخلاء، وهو استعاذة من شرِّ ذكور الشَّياطين وإناثها، وهذا عام، سواء كان في البنيان أو في الصَّحراء.

وفيه دليل على كراهة ذكر الله في بيت الخلاء، والمراد موضع قضاء الحاجة، أما المغتسل المنفصل فلا يكره الذِّكر فيه، ويلحق بالخلاء كل مكان نجس كالمزبلة، وإنما كره تنزيهًا وتعظيمًا لله، ويحرم تلاوة القرآن في بيت الخلاء، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحَجّ: الآية ٣٢]. وينبغي للمؤمن ألَّا يطيل المكث في الخلاء، ويكون متحفِّظا من الشَّياطين.

وفيه دليل على مشروعية الاستعاذة من الشَّياطين في الأماكن المهجورة، والفلوات، والجبال، وعند حصول ما يوجب القلق والخوف منها، وعند حضورها؛ ولذلك شرعت الاستعاذة في كثير من المواطن، وقد أمر

الله نبيه ﷺ بالاستعاذة من الشَّياطين، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨]، فاستعاذ من وساوسهم وحضورهم؛ لأنَّهم إذا حضروا وسوسوا.

الحديث السادس والثلاثون

عَنْ خَولَةَ بنتِ حَكِيم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالتْ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

دلَّ الحديث على فضل ذكر النُّزول في الفلاة، وأنَّ من قاله موقنًا به حصَّنه الله، وحفظه من شرور المخلوقات حتى ينتقل من هذا الموضع؛ فينبغي للمؤمن إذا نزل سهلًا، أو جبلًا، أو واديًا، أو بحرًا

في حضر، أو سفر أن يبادر بالإتيان بهذا الذِّكر؛ ليكون في حفظ الله ورعايته.

ومعناه: أعتصم والتجأ وألوذ بكلام الله الذي لا يلحقه نقص ولا عيب من كل شر مخلوق، وهذا عام في الإنس، والجن، والدَّواب، والهوام، والرِّيح.

والاستعاذة عبادة لا تصرف إلاَّ لله؛ لأنَّه المستحق للتَّعظيم، والقادر على الحفظ، ومن استعاذ بغير الله فقد أشرك شركًا أكبر، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: الآية ٦]، **قال ابن عباس** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول: أعوذ بعزيز هذا الوادي؛ فزادهم ذلك إثمًا».

وقد كان النَّبِيُّ ﷺ يستعيذ من الشُّرور وأسبابها؛ ولهذا ورد في «الصَّحيحين» أنَّه كان يستعيذ في صلاته من عذاب القبر، وفتنة المسيح الدَّجال، وفتنة المحيا

والممات، والمأثم والمغرم.

وفيه دليل على أنَّ القرآن الذي تكلَّم به الله صفة من صفاته، وليس بمخلوق كما يزعمه أهل البدع الذين انحرفوا عن طريقة السلف؛ لأنَّ الاستعاذة بالمخلوق لا تجوز، أمَّا صفات الله فيجوز الاستعاذة بها، كما يجوز القسم بها، وقد أجمع أئمة السنة على أن القرآن الذي نزل على محمد كلام الله حقيقةً، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٦].

قال الإمام أحمد: «القرآن علم من علم الله، فمن زعم أن علم الله مخلوق؛ فهو كافر». **وقال الإمام سفيان الثوري:** «من قال: إن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ مخلوق؛ فهو كافر».



الحديث السابع والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَّسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

هذا الحديث يدلُّ على فضل الصَّلاة على النَّبِيِّ ﷺ، وأنَّ من صلَّى على النَّبِيِّ صلاة واحدة صلَّى الله عليه عشر صلوات، وقد شرَّف الله تعالى نبيه وخصَّه بذلك، وأمر عباده بالصَّلاة عليه؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

والصَّلاة على النَّبِيِّ ﷺ من الله: ثناؤه عليه في الملأ الأعلى، ومن الملائكة والمؤمنين الدُّعاء بأن يثني الله عليه في الملأ الأعلى، والسلام على النبي يعني: الدعاء له بالسلامة من الآفات، **قال أبو العالية:**

«صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء».

فإذا سأل المؤمن ربَّه بأن يثني على نبيِّه في الملأ الأعلى جزاه الله من جنس ما دعا به، **قال ابن القيم:** «ومعلوم أن صلاة العبد على رسول الله ﷺ ليست هي رحمة من العبد لتكون صلاة الله عليه من جنسها، وإنما هي ثناء على الرسول ﷺ، وإرادة من الله أن يعلي ذكره، ويزيده تعظيمًا وتشريفًا، والجزاء من جنس العمل، فمن أثنى على رسول الله ﷺ جزاه الله من جنس عمله بأن يثني عليه، ويزيد تشريفه وتكريمه».

والصَّلاة على النَّبِيِّ من أجلِّ الأذكار، وعلامة على محبة النَّبِيِّ ﷺ، وسبب للمغفرة والرَّحمة، وكثرة الثَّواب، وانشراح الصَّدر، وتفريج الهمِّ، وإجابة الدُّعاء، وحصول شفاعة النَّبِيِّ ﷺ، وتستحبُّ في سائر الأحوال،

وتتأكدُّ بعد الأذان، وبعد التشهُّد في الصَّلاة وصلاة الجنازة، وقبل الدُّعاء، ويوم الجمعة، وفي الخطبة، وابتداء الكتب، وفي المجالس.

وتسن الصلاة على النبي عند سماع ذكره؛ لقول النبي ﷺ: «**البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي**». رواه أحمد.

وتحصل الصَّلاة على النَّبِيِّ ﷺ بأي صيغة تدلُّ عليها، سواء كانت مختصرةً، أو تامَّةً، وأفضلها الصَّلاة الإبراهيميَّة الواردة في «الصَّحيحين» من حديث كعب ابن عجرة رضي الله عنه، وصيغتها: «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**».

ويجب اجتناب الصيغ المحدثة التي ابتدعها الغلاة في محبته، وتشتمل على كثير من المخالفات العقديَّة.

ولا يشترط في صحَّتها الصَّلاة على الآل؛ لأنَّ هذا من الكمال؛ ولأنَّ القرآن اقتصر على لفظ الصَّلاة على النَّبِيِّ ﷺ، ولم يذكر الآل، أمَّا داخل الصَّلاة فالمستحب الصَّلاة الإبراهيميَّة، ولا تجب الصَّلاة على الآل على الصَّحيح، وشعار أهل السُّنة الصَّلاة على النبي والآل والأصحاب، أمَّا الرَّافضة فشعارهم الاقتصار في الصلاة على النبي والآل، والبراءة من الأصحاب.

وقد كان السلف من الصحابة فمن بعدهم يقتصرون على الصلاة على النبي ﷺ في كثير من أحوالهم من غير اختلاف بينهم، فمن أنكر ذلك فقد تشبه بأهل البدع.

وتجوز الصلاة على غير النَّبِيِّ إذا كان عارضًا ولم يتخذ شعارًا؛ لما ورد في «الصحيحين» عن عبد الله ابن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم

بصدقتهم قال: «**اللهم صل عليهم**»، فأتاه أبي أبو أوفى بصدقته؛ فقال: «**اللهم صل على آل أبي أوفى**». **قال ابن تيمية:** «وذهب الإمام أحمد وأكثر أصحابه إلى أنَّه لا بأس بذلك؛ لأنَّ عليَّ بن أبى طالب رضي الله عنه قال لعمر بن الخطَّاب: صلى الله عليك، وهذا القول أصحّ وأولى، ولكن إفراد واحد من الصَّحابة والقرابة كعليٍّ أو غيره بالصَّلاة عليه دون غيره مضاهاة للنَّبِيِّ ﷺ، بحيث يجعل ذلك شعارًا معروفًا باسمه هذا هو البدعة».

فينبغي للمؤمن أن يكثر من الصلاة على النبي في سائر أحواله: في الليل والنهار، والسفر والحضر، والقيام والقعود.

ولا يتقيد بعدد معين؛ لأنه لم يرد في السنة الصحيحة التحديد بعدد معين، وما روي في التحديد بمائة أو ثمانين فحديث باطل لا أصل له، فلا يشرع تقييد الصلاة على النبي بزمان، أو مكان، أو عدد، أو كيفية لم ترد

في الشرع، وليتجنب ما ينتشر عند الصوفية من الكيفيات المحدثة.

الحديث الثامن والثلاثون

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

دلَّ الحديث على فضل وشرف قراءة القرآن؛ لأنَّه كلام الله، وأنَّه يشفع لقارئه يوم القيامة، ويحاج عنه عند الحساب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فَاطِر: الآية ٢٩].

وهذا الفضل عامٌّ لكل قارئ، سواء كان حافظًا للقرآن أم لا. ويشترط لدخوله في هذا الفضل أن يكون

مواظبًا للقراءة، وعاملًا بالقرآن، يحلُّ حلاله ويحرمُّ حرامه، ويؤمن بمتشابهه، ويعمل بمحكمه، وقد ورد هذا الشَّرط في حديث النَّواس بن سمعان الوارد في «صحيح مسلم».

أمَّا الذي يقرأ القرآن ولا يعمل به فليس من أهل القرآن، ولا ينفعه القرآن، بل يكون حجة عليه يوم القيامة والعياذ بالله، **ويروى أن أنس بن مالك قال:** «ربَّ تال للقرآن والقرآن يلعه».

والقرآن إنما أنزل ليتلى، ويتبرَّك بشفائه، ويعمل به، ولم ينزل ليعلَّق للزينة في البيوت، ويقرأ في مجالس العزاء وفي المقابر، وتتَّخذ تلاوته وسيلة لكسب الرزق، وكلُّ هذه الأعمال من البدع التي أحدثها الخلف ولم يفعلها السلف.

وقد ورد في «جامع التِّرمذي» فضل عظيم لقراءة القرآن، وأنَّ كلَّ من قرأ حرفًا من القرآن فله عشر

حسنات. وورد في «الصَّحيحين» أن النَّبِيُّ ﷺ شبَّه المؤمن الذي يقرأ القرآن بالأُترجَّة، طيِّبة الطعم والرائحة، والمؤمن الذي يهجر القرآن بالتَّمرة طيِّبة الطَّعم ولا رائحة لها، والمنافق الذي يقرأ القرآن بالرَّيحانة طيبة الرَّائحة ولا طعم لها، والمنافق الذي يهجر القرآن بالحنظلة طعمها مر ولا رائحة لها؛ فاحرص على أن تكون كالأُترجَّة ولا تكون كالتَّمرة.

ولا تشترط الطَّهارة لقراءة القرآن، وإنما تشترط وتلزم عند مسِّ المصحف، إلا الجنب فلا يحلُّ له قراءة القرآن مطلقًا حتَّى يغتسل؛ لما ورد في «جامع الترمذي». وينبغي للمؤمن أن يتعاهد تلاوة القرآن، ويكون كثير التدبر في معانيه، ولا يهجره ويكون بعيد العهد به، كحال كثير من المسلمين في هذا الزمان، وقد كان السلف الصالح يداومون على ختمة القرآن في سائر السنة، ويجتهدون في الأوقات

الفاضلة، **قال عثمان** رضي الله عنه: «لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام الله عز وجل». فحري بالمؤمن أن يكون له ورد يومي لتلاوة القرآن، ويحرص على ختمه على الدوام.

الحديث التاسع والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمعتُ رَسُول اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**وَاللهِ إنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأتُوبُ إلَيْهِ فِي اليَومِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**». رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

دلَّ الحديث على فضل المداومة على الاستغفار في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة، وورد في «صحيح مسلم» قول النبي ﷺ: «**إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**».

فيستحب للمؤمن أن يداوم على الاستغفار في

سائر أحواله؛ لشدة الحاجة إليه؛ لأنَّ القلب يصدأ بالغفلة عن ذكر الله، والإيمان يَخلَق، والشَّيطان يزيِّن المعاصي، والنَّفس تتَّبع الهوى، والعبد يخطئ في الليل والنَّهار، **قال قتادة:** «إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم: فأما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار».

ويتأكَّد الاستغفار في أربعة مواطن: بعد الفريضة، ووقت السَّحر، وعند اقتراف الذنب، وعند الوقوع في الغفلة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٣٥].

والاستغفار دعاء مشتمل على ذكر الله، ومعناه: طلب المغفرة من الله، **وأوضح ابن القيِّم أن الاستغفار نوعان:**

الأول: استغفار مفرد كقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نُوح: الآية ١٠]. وهو يتضمن التَّوبة مع طلب المغفرة من الله، وهو محو الذَّنب، وإزالة أثره، ووقاية شرِّه.

الثاني: استغفار مقرون بالتَّوبة كقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هُود: الآية ٦١]، وعند اقترانهما فالاستغفار يدلُّ على طلب وقاية شرِّ ما مضى، والتَّوبة تدلُّ على الرجوع، وطلب وقاية شرِّ ما يخافه في المستقبل من سيِّئات أعماله، فهَا هُنا ذنبان: ذنب قد مضى، فالاستغفار منه طلب وقاية شرِّه، وذنب يخاف وقوعه، فالتَّوبة العزم على أن لا يفعله.

والاستغفار له أثر عظيم في صلاح العبد وسعادته، وتخلصه من الآثام والشُّرور والفتن، ويقوِّي صلة العبد بربه، ويجدِّد العهد مع الله، ويحقِّق عبوديته؛ لأنَّ حقيقته يقول المؤمن: أنا عبدك يا ربي، قد أذنبت

وقصَّرت في حقِّك؛ فاغفر لي ذنبي واسترني، وتجاوز عنِّي.

والاستغفار سبب عظيم لسعة الرزق، وبركة الولد، وزيادة القوة في كل شيء، واستقامة الحال، كما قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ [نوح: ١٠- ١٣]، ومن تعسرت أحواله، وضاقت دنياه، وضَعُفَ إيمانه، ونزل به البلاء فعليه بالاستغفار، **قال ابن تيمية:** «الاستغفار من أكبر الحسنات، وبابه واسع، فمن أحس بتقصير في قوله، أو عمله، أو حاله، أو رزقه، أو تقلب قلبه فعليه بالتوحيد والاستغفار؛ ففيهما الشفاء إذا كانا بصدق وإخلاص».

فينبغي للمؤمن أن يستحضر في استغفاره حسن النية، وصدق العزم على ترك الذنوب، **قالت أمُّ المؤمنين عائشة** رضي الله عنها: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا

كثيرًا». **وقيل للحسن البصري:** «ألا يستحيي أحدنا من ربه، يستغفر من ذنوبه ثم يعود، ثم يستغفر ثم يعود؟ فقال: ودَّ الشَّيطان لو ظفر منكم بهذا، فلا تملُّوا من الاستغفار».

الحديث الأربعون



عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العظِيمِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

دلَّ الحديث على فضل هاتين الجملتين العظيمتين: «سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»، وقد اشتملت على تنزيه الرب، والثَّناء عليه، وتمجيده، ومع كونهما خفيفتان في نطق اللسان إلا أنهما حبيبتان للرَّحمن؛ ولذلك اصطفى الله لملائكته سبحان الله بحمده،

كما ورد في «صحيح مسلم»، وهما ثقيلتان في الميزان، وهذا يدلُّ على كثرة ثوابهما.

ومن تأمل النُّصوص الواردة في فضل الذِّكر وشرفه، وعظيم جزائه، وكثرة أنواعه، وفضائله، وترغيب الشَّارع للمؤمن في كثرة الذِّكر علم أن مقصود الشَّارع أن يبقى المؤمن ذاكرًا لربه بلسانه في غالب أحواله، متَّصلا قلبه بالله، بعيدًا عن الغفلة والإصرار على الذنوب، متحصِّنًا من الشَّياطين، زاهدا في حقيقة الدُّنيا، مستحضرًا لأحوال الآخرة، وهذا هو ثمرة الذِّكر وغايته، التي مَن هُدي إليها وعمل بها كان من الفائزين والفالحين يوم القيامة.

وينبغي على المؤمن في مقام الذِّكر أن يراعي ويعتني بأربعة أمور:

الأولُّ: الإكثار من الذكر المطلق.

والثَّاني: الاجتهاد والحرص على الإتيان بالأذكار

المقيدة في وقتها أو سببها.

والثَّالث: أن يشتغل بالذِّكر الفاضل، إلا إذا ترجَّح المفضول لمصلحة عارضة.

والرَّابع: أن يكون متَّبعًا للسُّنة، حريصًا على ضبط الألفاظ الشَّرعيَّة، مجتنبًا الألفاظ البدعيَّة.

وإذا اجتهد في تحقيق ذلك، واتَّقى الله ما استطاع لم يكن من الغافلين، والله المسدِّد والهادي إلى سواء السَّبيل.

تمَّ الكتاب

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد البريَّات، نبينا محمد، وعلى آله وأزواجه الطَّاهرات.



فهرس الموضوعات




الفتح للصف والإخراج
أبو يحيى علي بن إسماعيل
TEL.00201002421106
A L F A T H